جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Mohammed V University of Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

كارلوس ديل بايي روخاس
Carlos del Valle Rojas

صناعة العدو في الإعلام

ترجمة وتقديم
عزالدين الطاهري
عبد اللطيف اشن

منشورات مختبر
اللغة والترجمة والتواصل والثقافة

2023

صناعة العدو في الإعلام

ثقافة السكان الأصليين والحرب الإعلامية في تشيلي

الكتاب

صناعة العدو في الإعلام
ثقافة السكان الأصليين والحرب الإعلامية في تشيلي

المؤلف

كارلوس ديل بايي روخاس

ترجمة وتقديم

عزالدين الطاهري & عبد اللطيف اشن

الطبعة

الأولى، **2023**

الإيداع القانوني

2023MO2894

الترقيم الدولي

978-9920-619-60-8

الناشر

مختبر اللغة والترجمة والتواصل والثقافة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

المطبعة

Info-Print فاس - المغرب

الهاتف: 26 17 64 35 05

© جميع الحقوق محفوظة

كارلوس ديل بايي روخاس

صناعة العدو في الإعلام

ثقافة السكان الأصليين والحرب الإعلامية في تشيلي

ترجمة وتقديم:

عزالدين الطاهري

عبد اللطيف أشن

العنوان الأصلي للكتاب

LA CONSTRUCCIÓN MEDIÁTICA DEL ENEMIGO

Cultura indígena y guerra informativa en Chile

© Carlos del Valle Rojas, 2021

Comunicación Social Ediciones y Publicaciones

المحتوى

تقديم 7

توطئة.. 15

الجزء الأول:

صناعة العدو

عدو الحضارة.. 21

عدو الدولة الوطنية والسوق النيوليبرالية.. 31

الجزء الثاني:

عولمة العدو

العولمة انطلاقا من من صناعة الثقافة في قطاعي الاعلام والنشر. 41

العولمة انطلاقا من الأنظمة الدينية والسياسية والقانونية والاقتصادية 57

خلاصات.. 95

المراجع.. 103

عن المؤلف... 127

تقديم

من هو العدو؟ أهو كائن موجود على أرض الواقع؟ أم أن وجوده لا يعدو أن يكون مجرد وهم وسراب؟ من يخلق هذا العدو؟ ما الدور الذي يضطلع به داخل المجتمعات؟ ماهي وظائفه وكيف يتم تصويره؟ ماهي العوامل التي تساهم في نشأته وتشكله؟ وهل لوجوده أية ضرورة؟

مما لا شك فيه أن "صناعة العدو" كانت ولا تزال من بين الاستراتيجيات التي تنهجها العديد من الأنظمة، سواء في سياساتها الداخلية أو الخارجية، نظرا لكون ذلك يتيح لها إلهاء شعوبها عن مختلف الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى تعزيز التماسك الاجتماعي بين الأفراد داخليا وتقوية شعورهم بالانتماء. لذلك فهذه الأنظمة تسعى باستماتة لاختيار خصم، قد يكون خارجيا في الأغلب، ثم "شيطنته" واستعدائه قصد إضفاء الشرعية عليها وتبرير السياسات والقرارات التي تتخذها.

لقد أضحت صناعة العدو عادة تقوم عليها الكثير من الأنظمة، لدرجة أننا أصبحنا نجد أن أي أمة تعاني من مشاكل داخلية يسارع نظامها

باللجوء إلى الحل الأسهل الذي يتجلى في صناعة عدو خارجي ليلعب دور الشماعة التي يعلق عليها فشل سياساته واختياراته. كما أن هذا العدو لم يصنع لخدمة الأنظمة الاستبدادية فحسب، بل كذلك نجده لدى الأنظمة الغربية والديمقراطية التي لا تستطيع أن تستمر دون أن يكون لها أعداء. أصبحت هذه الصناعة في وقتنا الراهن من الآليات الأساسية التي تتبعها الدول من أجل تبرير وشرعنة سياساتها، فضلا عن صرف النظر عن العدو ومصادر الخطر الحقيقيين. ويكون سلاحها الفعال في ذلك الإعلام والتوجيه، بغرض مواجهة كل من يعارض أنظمتها أو يسائلها أو يحتج ضدها.

إن عملية وكذا عقلية صناعة الأعداء ليستا وليدتا اليوم. بل إن جذورهما ضاربة في القدم، وخير مثال على ذلك هو اندلاع الحملات الصليبية ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي «لتحرير الكنائس المسيحية في الشرق وفي الأرض المقدسة من الكفرة والوثنيين»، كما جاء على لسان البابا أوربان الثاني. ليتطور بعدها مفهوم العدو ويصبح له دور اجتماعي وسياسي يؤديه في المجتمعات المعاصرة، وكما يقول الكاتب الفرنسي Pierre Conesa (2011) في كتابه "صنع العدو"، أصبح هذا الأخير خيارا سياسيا يتم صناعته وتصويره بالطريقة التي تخدم الأهداف

الاستراتيجية. وتقوم الفكرة على أن يعيش هذا العدو أطول فترة ممكنة بدلا من التخلص منه، لأن استمراريته هي استمرارية للنظام.

لقد كان لصناعة العدو دور كبير في الكثير من الحروب، كما كان الحال مع دول المحور إبّان الحرب العالمية الثانية. فقد ساهمت هذه الصناعة في تماسك الجبهة الداخلية لهذه الدول. كما أن صعود النازية قام على أساس شيطنة أدولف هتلر للعدو المتمثل في اليهود والاشتراكيين. وبناءً على هذا الفهم تم توجيه مشاعر وقوى الشعب الألماني ضد هذا العدو، فاستطاع هتلر، بذلك، أن يوحد قطاعا كبيرا من شعبه تحت مشروعه التوسعي.

في الوقت الراهن، ظهرت صيغ جديدة لهذه الصناعة. فالعدو لم يعد معطى كما كان عليه الحال في الحروب التقليدية، إنما بات خيارا سياسيا (Conesa). فالأنظمة السياسية، كما أشرنا آنفا، أصبحت تلجأ إلى صناعة العدو وتقديمه ككبش فداء لتفسير وتبرير تردي الظروف الاقتصادية والاجتماعية لمواطنيها. وخير دليل على ذلك تصوير المهاجرين العرب كمصدر لمشاكل البطالة في الدول الغربية وكذا تحول الهجرة، عامة، إلى الخطر الرئيس المهدد للسلم المدني والتوازنات الاقتصادية والاجتماعية، وحتى للهوية في بعض البلدان الغربية.

من جهة اخرى، لصناعة العدو وجه آخر أكثر بشاعة، ألا وهو صناعة الخوف. فهذا البعبع وخطره ومؤامراته التي يحبكها ليل نهار وفي السر والعلن هو المسؤول عن الأزمات والمصائب والفشل الذي يطال هذه الشعوب. فيصبح إفشاء الخوف وسيلة لإبقاء طموحات الشعوب حبيسة أسفل هرم الاحتياجات الانسانية ولكي لا يرتفع سقف مطالبها. لهذا، تحرص الكثير من الأنظمة على هذه الصناعة من أجل استمرار وديمومة سلطتها وهيمنتها، وتأجيل أي نقاش أو مطالب باحترام حقوق الإنسان أو تطبيق آليات الديمقراطية وتداول السلطة أو المناداة بالعدالة والحرية والمساواة.

كما نرى، هناك أمثلة عديدة لأعداء يتم اختلاقهم وتصنيعهم لتحقيق مختلف الأهداف. وفي الوقت الحاضر، تلجأ العديد من الدول عبر ترساناتها الإعلامية إلى صناعة أعداء كثر، كل حسب أهدافه وإستراتيجياته. كما أنه في السياق الحالي للحرب الروسية - الأوكرانية، هناك من يرى أن صناعة العدو سياسة ينهجها النظام الرأسمالي لتبرير زيادة الإنتاج والإنفاق العسكري، مما يتيح له خلق سوق رائجة تواجه التضخم الكابس على نفسها.

وفي الختام، تلجأ العديد من الأنظمة إلى استراتيجية صناعة العدو للتغطية على أزمات مجتمعاتها، باعتبار أن هذا السبيل قد يكون سببا في

تأجيل التصعيد والاحتجاج ضد القرارات والسياسات اللاشعبية التي تنهجها حكوماتها. ناهيك، بطبيعة الحال، عن تأجيل البحث عن حلول داخلية ناجعة لهذه الأزمات. إن قضية صناعة العدو هي ليست قضية سياسية فحسب، وإنما تكتسي طابعا فلسفيا وايديولوجيا وتستند على أسس ونظريات الغرض منها ترسيخ الخوف وفقدان الأمن والأمان وفق تخطيط استراتيجي مدروس تعمل عليه الأجهزة الأمنية والمخابراتية والشركات الإعلامية.

وفي هذا السياق، وبفضل الدور الكبير الذي تضطلع به الترجمة في نقل الأفكار والمعارف وتطويرها، يسعدنا أن نقدم ترجمة هذا الكتاب القيم للقارئ العربي لأهمية الموضوع الذي يعالجه، لاسيما في العالم العربي والإسلامي، باعتبار أن بعض الدول والأنظمة تتخذ مختلف الأعداء كذريعة لتبرير إخفاقاتها في حل مشاكلها الداخلية. إذ لا يخفى على لبيب كيف يجتهد الإعلام في تشويه صورة العدو وتسويق صور نمطية سلبية ومغلوطة عنه تثير الشك والريبة منه، وصولا إلى تنامي ظاهرة الخوف من الآخر.

لأجل كل ما ذُكر، قُمنا بترجمة هذا الكتاب من اللغة الإسبانية إلى اللغة العربية، وهو لمؤلفه التشيلي كارلوس ديل بابي روخاس (Carlos

(del Valle Rojas، لكونه يَدْرس بشكل دقيق صناعة العدو في الإعلام.

يتألف الكتاب من جزأين ومقدمة مختصرة. يُعنى الجزء الأول بصناعة العدو، فيما يتناول الجزء الثاني كيفية وحيثيات عولمة العدو انطلاقا من الصناعة الإعلامية والثقافية والأنظمة الدينية والسياسية والقانونية والاقتصادية.

ولقد حاولنا في ترجمة هذا العمل اعتماد المصطلحات الأكثر تداولا في الوسط العلمي. ولم يكن هذا بالأمر الهيّن، خصوصا عندما نتحدث عن كتاب ينهل من قواميس لغوية وأدبية وفلسفية وأنثروبولوجية وفكرية، ناهيك عن إحداث الكاتب لمفاهيم وتصورات ومصطلحات نابعة من اجتهاده الشخصي.

يُعْرف مؤلف الكتاب بثقافته الواسعة وغزارة إنتاجاته العلمية، وهو يعتبر من أبرز الباحثين في هذا المجال. كما يكشف الكتاب عن مهارات كاتبه التحليلية ووضوح أفكاره وموضوعيته وحياده وكذا انتقاده للأنظمة الديمقراطية.

ويُعَد عمل كارلوس ديل بايي روخاس كتابا مميزا من حيث مضمونه والمنهجية المعتمدة في التحليل، وكذا استناده على بحوث ودراسات عدة حول الموضوع، واعتماده على مقاربات نظرية وتحليلية للوصول إلى خلاصات دقيقة.

عزالدين الطاهري

عبد اللطيف اشن

الرباط في 22 ماي 2023

توطئة

من أهم الأفكار التي يدافع عنها هذا الكتاب كون الصناعة الثقافية، ولا سيما وسائل الإعلام والأدب، أصبحت متخصصة في صنع العدو كطرف داخل منظومة عالمية لتفسير الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي.

انتشرت عملية خلق الأعداء هذه على نطاق واسع، تحديدا بعد انطلاق عمليات العولمة، سواء الدينية (مع الاستقلالية الترابية في القرن الخامس عشر) أو الدولة الوطنية[1] (مع تشكل الدول ابتداءً من القرن التاسع عشر) والسوق النيوليبرالية[2] (مع فرض النيوليبرالية في القرن العشرين). كان الهدف في جميع هذه الحالات هو خلق أعداء من أجل تبرير مختلف الخطابات والممارسات التي ستشجع، في كل فترة، على إقامة نماذج مهيمنة، والتي سيكون لها بدورها عدة أشخاص تعاديها، من قبيل

[1] على الرغم أن الكتاب يستخدم حصرا تعبير الدولة الوطنية، إلا أنني أعتبر أن هناك فرقًا بين مفهومي الدولة القومية والدولة الوطنية. في الواقع، نحن نعتبر أن مفهوم الدولة القومية يحيل على الدول القائمة على أساس عرقي أو عرقيات وطنية، في حين أن الدول الوطنية هي "دول إقليمية، نظريا ذات سيادة وتدبير أراضي وطنية" (Jessop، 2008: 215).

[2] أشير هنا، بشكل خاص، إلى ايديولوجية الهيمنة التي تؤيد كون الدولة الوطنية ينبغي ألا يكون لها أي دور كفاعل اقتصادي، والأكثر من ذلك، وجوب خصخصة الوظيفة العمومية (Cardoso، 2006).

السود (Mbembe، 2011، 2016) والسكان الأصليين (Del Valle، 2018، 2019، 2020) والمهاجرين (ElHajji, Cogo y Huertas، 2020؛ Frank-Job، 2020؛ Camacho، 2010) والطبقة العاملة (Jones، 2013) والشباب (Valenzuela، 2015؛ Saintout، 2013) والمتظاهرين (Zaffaroni y Pitrola، 2008؛ Vásquez y Sánchez، 2017) ومسلوبي الحرية (Misse، 1999؛ Racosta، 2018). فبدون أعداء، لا يمكن ممارسة الهيمنة، لأنه، وببساطة، يتعين أولاً الاهتمام بمن سوف يرزح تحت وطأة السيطرة.

يشتمل هذا الكتاب على جزأين، إذ يرتكز الجزء الأول على "صناعة العدو"، خاصة من خلال عمليات واستراتيجيات الانتقال الحضاري والإدماج داخل الدولة والمقاولتية في السوق. أما الجزء الثاني من الكتاب فيتناول أساليب عولمة العدو، وتحديداً من خلال استخدام استراتيجيات معينة في الصناعة الثقافية، كالشيطنة مثلا.

يرتكز هذا العمل على منظور متداخل التخصصات، من أدب وعلم اجتماع وعلم التواصل والدراسات البينثقافية. رغم أنه، في بعض الأحيان، يتطرق إلى جوانب محددة في تحليله، متناولا ذلك من منظور أشمل وأوسع. كما يحيل، في نفس الصدد وبشكل مستفيض، على أهم الدراسات ذات الصلة، مع إظهار مساهماتها ومحدوديتها.

إن الغاية من هذا الكتاب هي، في الواقع، إجراء مراجعة تاريخية ومُمَأسسة ومنهجية لاستمرارية عقلية نشر الحضارة والمصفوفة الاستعمارية للسلطة[3]، من خلال عمليات الاستعداء الشرسة، خاصة ضد المجموعات التابعة أو الخاضعة أو المستعمرة أو الأقليات. يُضفي الكتاب طابعا منهجيا على خبرة المؤلف الواسعة في هذا المجال، وذلك من منظور متعدد التخصصات، يشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والقانونية والتاريخية.

وباختصار، يشكل هذا الكتاب نقدا لأنماط الصناعة العالمية للعدو، والتي تمثل، بدورها، أحد الأشكال الرئيسة للعلاقة مع الآخر. وعلى هذا المنوال، يقترح رؤية شاملة ومتقاطعة ونقدية وتاريخية لظاهرة البناء الاجتماعي والثقافي للعدو، باعتباره شرطا للمضي قُدُمًا في مشاريع تحديث الدول الوطنية وإخضاع السوق للنيوليبرالية والتركيع الشامل للآخر.

الكتاب هو نتاج مشروع الوكالة الوطنية للبحث والتنمية، ANID، برنامج البحث التشاركي، المعنون ب: "آفاق متقاربة: الإنتاج

---

[3] يظهر مفهوم السلطة في هذا الكتاب بشكل متكرر. وعليه، يتعين، من الآن، التنبيه بأنه مفهوم معقد يتطلب نظرة ثلاثية الأبعاد حتى يتسنى فهم العلاقات والديناميات التي تنطوي، على سبيل المثال، على مقاومة الطريقة التي تمارس بها السلطة، وفي الوقت ذاته، الرضى بهذه السلطة (Lukes، 2007). وعلى نفس المنوال، سوف نفهم أيضًا الثقافة الاستعمارية في علاقتها التاريخية بعمليات الرقابة التي مورست على نطاق واسع في أمريكا اللاتينية إبان الاستعمار (Guibovich، 2013).

والوساطة والاستقبال وآثار تمثلات التهميش" *Converging* (*Horizons: Production, Mediation, Reception and Effects of Representations of Marginality*) (2018-2022)؛ وكذا بحث: "المشروع الحضاري في الصناعة الثقافية لأمريكا اللاتينية. الأسس الأيديولوجية والأطر الإعلامية واستراتيجيات صناعة العدو خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين. حالات تشيلي والأرجنتين والبيرو وكولومبيا"، بتمويل من الوكالة الوطنية الشيلية للبحث والتطوير، ANID-Chile / FONDECYT N° 1220324 (2022-2026).

كارلوس ديل بايي روخاس. تيموكو،
تشيلي، 2022.

الجزء الأول

صناعة العدو

عدو الحضارة

تُشكل صورة السكان الأصليين أو "الهنود"، في حالة الأمريكيتين، محور عملية صناعة العدو، وهي عملية ذات تاريخ ممتد وتتمظهر من خلال خطابات وممارسات ذات طبيعة منهجية ومؤسساتية.

وبشكل عام، يمكننا رصد نوعين عامين من أنواع عملية صناعة العدو. يتوافق الأول مع نوع استعماري، راديكالي وعنصري وإقصائي. وفي هذه الحالة، تُوفر لنا الصناعة الثقافية رسائل وروايات ومقالات وسجلات تاريخية وصحافية (Colón، 1492، 1493؛ Cortés، 1519، 1520، 1522؛ Calderón، 1607؛ De Rivas، 1835؛ Blest Gana، 1868؛ Vicuña Mackenna، 1868؛ Sarmiento، 1845، 1915؛ López، 1904؛ Vera، 1905؛ Guevara، 1908؛ Encina، 1911؛ Smith، 1914؛ Lombroso، 1916؛ O’Gorman، 1941؛ Redfield، 1947).

أما النوع الثاني فيتجلى في استعمار نسبي وغامض وغير منتظم، حاضر، بدوره، في مختلف الأعمال الأدبية والثقافية من رسائل ومجلات

وتقارير (Domeyko، 1846؛ المجلة الكاثوليكية La Revista Católica، 1859؛ Bates، 1999).

يتعلق الأمر، في كلتا الحالتين، بأساليب صناعة عدو حميم (Nandy، 1983) والذي سوف تُطَبَّق عليه مختلف استراتيجيات التهميش والإقصاء (Mbembe، 2016؛ Jacobs y Cancio، 2003؛ Gracia، 2005؛ Zaffaroni، 1997، 2015؛ Misse، 2017).

وعلى الرغم من أن أول ما تتم ملاحظته، في هذا السياق، هو الخطابات، فمن الجدير اعتبار أن هذه الأخيرة مبنية على المصالح الرمزية والمادية لمن يُنتجها، بحيث يمكننا تمييز مصفوفة عامة لتمثيل العدو، والتي يتم التعبير عنها باتباع عقلانيات عامة (أخلاقية وإجرامية ونيوليبرالية) وأخرى خاصة (سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية) تتجلى في المصالح المتنازع عليها (القوى العاملة والأراضي والملكية والرخص). يُترجِم ما سبق إلى عمليات عالمية، من قبيل التبشير لتحويل الأرواح والتأديب لإخضاع الأجساد ونزع الملكية للاستحواذ على الأرض والتوجه المقاولاتي لتحويل القوى العاملة إلى أشكال أكثر إنتاجية، وفقًا للنموذج الرأسمالي وكذلك التذرع بالقيم القومية أو الوطنية.

وفي الآن ذاته فإن مراجعة نقدية للبيليوغرافيا الواسعة والمتاحة تُمَكننا، من ناحية نظرية-مفاهيمية وتحليلية، بتمييز، على الأقل، خمس مقاربات، تتيح لنا تحديد مسار يُظهر، من ناحية، التحولات الابستمولوجية في التفكير العلمي والاجتماعي ويشهد، من ناحية أخرى، على الجهود المضادة للهيمنة لفكر يسعى إلى الانعتاق انطلاقا من الهوامش.

1) **المقاربة البنيوية النقدية** (Nicolau، 1963؛ Levi Strauss، 1964؛ Di Tella، 1984؛ Balibar y Wallerstein، 1988؛ Bonfil، 1990؛ Schávelzon، 2003؛ Nietzche، 2005؛ Losonczy، 2006؛ De Acosta، 2006؛ Martins، 2009؛ García، 2009a، 2009b؛ Echeverría، 2011، 2010؛ Klein، 2011؛ Jones، 2013؛ Todorov، 2012، 2010؛ Elias y Scotson، 2016؛ Lorey، 2016).

2) **المقاربة التفكيكية** (Derrida، 1998؛ Bangura y Stavenhagen، 2005؛ Stavenhagen، 2013؛ Zaffaroni، 2015؛ Guattari y Rolnik، 2006؛ Misse، 2017).

3) **المقاربة الشبحية** (Gelder y Jacobs، 1999؛ De Peretti، 2003؛ Turcotte، 2008؛ Cameron، 2008؛ Derrida، 2012؛ Blanco y Peeren، 2013؛ Peeren، 2014)، وهي المقاربة التي سوف نتوقف عندها هنا.

4) **المقاربة ما بعد الاستعمارية** (Fanon، 1963؛ Nandy، 1983؛ Dussel، 1994 و1995؛ Wade، 2000؛ Memmi، 2001؛ Bhabha، 2002؛ Grosfoguel y Cervantes-Rodríguez، 2002؛ Appadurai، 2007؛ Said، 2008؛ Reding، 2009؛ Mignolo، 2010؛ Reid، 2011؛ Gilroy، 2014؛ Mbembe، 2011، 2016؛ Anzaldúa، 2016؛ Galceran، 2016).

5) **المقاربة الديكولونيالية** (Tuhiwai، 1999؛ Paredes، 2014؛ Tzul Tzul، 2015).

من الواضح أن هذه المقاربات تُعَبِّر عن مسارات مختلفة لطرق فهم وتفسير العدو، إما كجزء من نموذج ازدواجي وثنائي؛ أو ككسر لهذا

النموذج المعضلة من أجل فسح المجال لأطراف ثالثة أو مساحات بينية ناتجة عن هذا التفكيك؛ أو كمسار استثنائي للشبجية المتمخضة عن تناقضات هذه القطيعة؛ أو بشكل حاسم، كموقف متباين يقلب العلاقات رأسا على عقب، إما بالانتصار للمستعمَر (ما بعد الاستعمارية) أو بوعيه وتحرره (تصفية الاستعمار).

يتعلق الأمر، في النهاية، بفهم مصفوفة اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها في الأمريكيتين، انطلاقا من عقلانية الهيمنة (الأخلاقية والإجرامية والنيوليبرالية)، ولقد توطدت، في الآونة الأخيرة، بظهور الدول الوطنية وبتكريس نموذج الرأسمالية النيوليبرالية. وهي في نفس الوقت عبارة عن مشروع حضاري قائم على ايديولوجية بيضاء وذكورية ونخبوية ترى وتَتَمثل العدو على أنه إنكار لقيم الحضارة وعائقًا في طريق التقدم وخطرا على هذا المشروع. هذه المصفوفة، على الرغم من البراهين التي ترفض فرضية وجود حضارة مقابل همجية (Todorov، 2010)، لا تزال سارية في الأمريكيتين.

ويرجع ما سبق إلى كون هذه العقلانية الحضارية تتوافق والمصالح التي توجد على المحك، سواء كانت النظام العام أو الصالح العام للدول الوطنية أو التدفق الحر للسلع أو قيمة الملكية الخاصة بالنسبة للنظام الاقتصادي النيوليبرالي أو، ببساطة، ضرورة الحفاظ على السيطرة

الجيوسياسية. وتتجلى استراتيجيات هذه العقلانية في سياسات التعليم أو الصحة أو الثقافة، بشكل تاريخي ومُمَنهج ومؤسساتي، من خلال استخدام القوة القمعية ونزع الملكية (Tuhiwai، 1999).

وبعيدا عن الأحكام المسبقة تجاه الاستمرارية أو التغيير اللذين يمكن ملاحظتها، بالإضافة إلى خصوصية الحالات التي تمت دراستها بعمق، فمن الممكن العثور على نماذج أنماط مشتركة ومنطلقات أساسية، ألا وهي: **1)** أن الحديث عن الحضارة يحيل على عملية تقدم تدريجي، "التقدم الحضاري"؛ **2)** وأن عملية التقدم الحضاري هذه مستمرة في الزمان والمكان، بشكل يمكننا من ملاحظة «نموذج جغرافي للحضارة» (Huntington، 1949: 247).

ومن ناحية أخرى، من المهم اعتبار المصفوفة الاستعمارية تجسيدًا دقيقا للمشروع الحضاري، الذي يتم التعبير عنه في شكل مختلف علاقات الهيمنة بين مجموعة ما على باقي المجموعات. وبدوره، يمتد هذا المشروع بطريقة تاريخية ومنهجية ومؤسساتية عند إرساء كل من ممارسات وتمظهرات الهيمنة. وتتأتى هذه الأخيرة من خلال الروايات الأدبية والإعلامية للصناعة الثقافية وكذلك الأشكال المختلفة للاستعمار عن طريق الصورة (Giordano، 2012). فعلى سبيل المثال، يُعَبِّر الكاتب والسياسي الأرجنتيني دومينغو فاوستينو سارمبينتو (1845) عن هذه

المصفوفة الاستعمارية باعتبارها نتاجا لتقاطع تاريخي وقلة هم من يحظون بشرف قيادته: «نحن، مع ذلك، كنا نتطلع إلى الوحدة في إطار الحضارة والحرية، إلا أن ما حصلنا عليه هو وحدة وسط الهمجية والعبودية» (Sarmiento، 1845: 24).

ومن ناحية أخرى، يُدافع العالم البولندي-التشيلي إغناسيو دوميكو على المصفوفة نفسها، ولكن مع مسحة من علم الطبيعة، نظرا لمجال تخصصه، محتفظا، بذلك، بالطابع الروحي وإمكانيات التبشير في سياق واقع السكان الأصليين القائم على "المعتقدات الخام" و "الخرافات العمياء" (Domeyko، 1846: 3).

ومن جانبه، يُعيد الكاتب Alberto Blest Gana، مؤلف ما يعتبر أول رواية تاريخية في تشيلي، إنتاج المصفوفة نفسها، كاشفاً من خلال أحد حوارات شخصياته عن الحالة الهمجية للسكان الأصليين: «بصراحة، أنا لا أعرف من الذي يتعين علي أن أخشاه أكثر –قال دون فيديل بتعجب–، الليبراليون أم الهنود الأراوكانيون الهمجيون» (Blest Gana، 1862:90).

وبمعنى أكثر شمولية، ألقى النائب التشيلي Benjamín Vicuña Mackenna خطابًا بليغًا أمام مجلس النواب متحدثا فيه بإسهاب عن

غزو أرَوكو[4] Arauco، معتبرا أن «غزو الهنود هو بالأساس، كما كان الحال في الولايات المتحدة، غزو حضاري» (Vicuña Mackenna، 1868: 7).

هذه المصفوفة الاستعمارية عميقة لدرجة أنها تفرض علاقة معقدة للغاية بين المستعمِر والمستعمَر، بحيث إن الصورة التي يُنتِجها الأول ويتبناها الثاني على أنها «نتيجة للاستعمار وليس سببه» (Memmi، 2003: 132). وبهذا المعنى، تضرب المصفوفة الاستعمارية جذورها في منطقة ما وتمتد إلى ساكنيها، مؤسسة بذلك دينامية دائمة للسيطرة على الأرض والجسد. ذلك لأنها يتم التعبير عنها من خلال عمليات تاريخية ومنهجية ومؤسساتية.

ومن ناحية أخرى، من المهم اعتبار أن المصفوفة الاستعمارية تعمل عن طريق استراتيجيات ثابتة، من قبيل النماذج الابستمولوجية المتماثلة (في ماذا يشبهنا الآخر؟) والمتعارضة (في ماذا يختلف ويتعارض معنا؟) والمتناقضة، بشكل عام، حيث يكون المستعمِر، في الخطابات التي يُنتجها حول المستعمَر، هو المُنتِج والمُستقبِل لها في الآن نفسه (Adorno،

---

[4] يشير الاسم إلى الأراضي التي يعيش بها سكان المابوتشي الأصليون، والتي كانت تقع جنوبي تشيلي. كما يحيل على قصيدة "لا أرَوكانا" *La Araucana* التي نظمها Alonso de Ercilla y Zuñiga في عام 1574.

1988). وبالمثل، تتجلى إحدى الاستراتيجيات الأخرى في «اللاأنسنة العدو»، حيث إن «تخيل الخلافات المستعصية مع العدو يسهل القضاء عليه» (Tarín، 2015: 167).

تظل تلك، إذا، علاقات استعمارية يميل وجودها إلى الديمومة. فعلى سبيل المثال، يتجلى الاستعمار حاليًا من خلال الشركات الكبرى العابرة للحدود الوطنية التي تسيطر على الأراضي ويتعزز وجودها بالامتيازات القانونية التي تحصل عليها والدعم الذي تتلقاه من مؤسسات الدولة.

وعلى حد تعبير باول غيلروي، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار مختلف الأنماط الهجينة والمختلطة للاستعمار المعاصر، مع الاستعانة بالنظريات التي تسمح بإعطاء تفسيرات أفضل «من تلك التي يقدمها، حتى الآن، المتعصبون الثقافيون مع فروقاتهم الدقيقة» (1993: 223).

عدو الدولة الوطنية والسوق النيوليبرالية

يُعَد مفهوم صناعة الثقافة مفهوما عمليا لأنه يسمح لنا بفهم الدور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي لصحافة وأدب القوة المهيمنة، حيث نلاحظ سيرورة ممنهجة ومُمَأسسة لتقديم السكان الأصليين كأعداء للمشروع الحضاري للدولة الوطنية. ولقد كانت مظاهر صناعة العدو جلية فيما يتعلق بصحافة الهيمنة (Del Valle، 2020، 2019، 2018)، بتوظيف تعابير من قبيل «الجار العدو» أو «العدو المريع» (El Mercurio de Valparaíso، 27 يوليوز 1859) أو «غرائز شرسة وهمجية» أو «اللصوص الذين يستولون على ممتلكات المواطنين التشيليين» أو «المعتدي الغبي والقاسي» (El Mercurio de Valparaíso، 29 يوليوز 1859). يدور الأمر حول تحديد العدو بشكل مفصل لتبرير الهجمات عليه، «كي يتم الذهاب بالجيش الكثيف إلى نقطة الهجوم، لمواجهة العدو دائمًا بقوة قتالية مريعة» (El Mercurio de Valparaíso، 8 أكتوبر 1862).

ونلاحظ، بهذه الطريقة، سلوك استراتيجية قائمة على عنصرة الإجرام، لأنها نتاج امتزاج عرقي بين المستوطنين الأوروبيين والسكان الأصليين، مما يدفع هؤلاء ليكونوا أكثر حركية وتمردًا (Lombroso، 2006).

باختصار، وكجزء من عملية التعزيز الجيوسياسي للدولة الوطنية، يتم باستمرار إنتاج وإعادة إنتاج خطاب إعلامي عام مرتكز على مصفوفة استعمارية تُعارض، بخطاب سياسي وثقافي، الحضارة والهمجية.

لاحقا، وخلال القرن العشرين، أصبح العدو يُقَدَّم كمعارض للتطور والتنمية الاقتصادية. فعلى سبيل المثال، وفي سياق واسع، خلص José López Portillo y Rojas (1904) إلى الوضع المتخلف للسكان الأصليين في أمريكا، وذلك، طبعا، باستخدام ثنائية الحضارة والهمجية: «اختفى شعبا الأباتشي والكومانش الشماليان؛ اندمج الناياريتيون كليا في الأمة؛ أما الياكيز والمايا والمايو فلقد هزموا وتم اخضاعهم؛ في حين يتعايش السيري والويتشول والتاراهومارا واللاكاندونيون في سلام مع البيض وبدأوا الدخول في الممارسات الحضارية» (López، 1904: 9 و51).

ومن جهة أخرى، تُظهِر تحليلات تلك الفترة، بصورة ملائمة لأهداف المستعمر، أن مهارات السكان الأصليين المعرفية ضئيلة

وتستجيب بشكل أساسي لقدرة المحاكاة التي هي نتاج تطور بصري وسمعي كبير؛ وعليه، فهم قادرون فقط على تنفيذ عمليات، وليس على تشكيل أفكار حولها. لذلك فإن أي مقترح لتعليم السكان الأصليين يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب النفسية عند وضع "خطة بناء ذهني" خاص، والتي يجب أن تشمل الجوانب الاجتماعية، ولكن دائمًا مع التركيز على التطبيق العملي لأي معرفة مكتسبة (Guevara، 1908).

ثمة أيضا البعد الآخر المهم في الإنتاج الخطابي للتهميش ألا وهو عنصرة الاقتصاد، الذي سيشكل ركيزة أساسية لما سيلحق من عمليات التحول الإنتاجي والمقاولتي، لأن «كلا العناصر الهمجية والعناصر المتحضرة، في غضون بضعة قرون وجدت نفسها شبه منصهرة في بعضها وبنسب متساوية في جميع الطبقات الاجتماعية» (Encina،1911: 98).

من ناحية أخرى، أسهم Edmond Reuel Smith (1914)، العضو في البعثة الفلكية البحرية الأمريكية في تشيلي، وبوصف بليغ في همجية السكان الأصليين: «لقد كانوا قذرين وذوي شكل همجي وصاخب؛ لكن على الرغم من أنهم كانوا سِكِّيرين، إلا أنهم لم يكونوا لا منحرفين ولا عرابدة» (Smith، 1914: VII، 26، 196).

وبمعنى آخر، ستكون عملية التجريم مظهرًا خاصا بأنظمة التحكم والأمن في الدول الوطنية، والتي ستؤدي بشكل تدريجي ومتواطئ إلى العملية المقاولاتية التي، كما سنرى لاحقًا، سوف تميز النظام الجديد الذي بدأ يتقوى: الرأسمالية والنموذج ما بعد النيوليبرالي. في هذا الأخير، باعتباره مرحلة من الرأسمالية، يتم تذويب الدولة الوطنية في السوق وكذا الخلط بينهما في ظل عقلية اقتصادية هي في نفس الوقت ايديولوجية –كما في حالة نماذج الابتكار وريادة الأعمال– ويومية، كما هو الحال مع عمليات التفكيك واللاتاريخية والتهجير (Del Valle، 2013: 59). وتجدر الإشارة إلى أن فهم نموذج ما بعد النيوليبرالية، هنا، يختلف عن مفهومه كبديل حقيقي للنيوليبرالية (García Linera، 2020: 204)، إذ يجب أن يُفْهَم على أنه مرحلة من الرأسمالية وليس كمرحلة سابقة لما بعد الرأسمالية. وبهذا المعنى، فالأمر يتعلق بما بعد نيوليبرالية رأس المال، أي «رأسمالية بلا حقوق، [...] رأسمالية بلا معايير جماعية، [...] رأسمالية مع دولة فئوية بشكل علني، رأسمالية مرتزقة» (Ceceña، 2008: 8 و9).[5]

[5] في الواقع، تميز Ana Esther Ceceña بين ثلاث تشعبات لما بعد النيوليبرالية، وهي (**1**) ما بعد نيوليبرالية رأس المال، وهي ما نتحدث عنه في هذا الكتاب؛ و(**2**) ما بعد النيوليبرالية الوطنية البديلة، كما في حالة الإكوادور وبوليفيا والتي يشير إليها Álvaro García Linera؛ و(**3**) ما بعد نيوليبرالية الشعوب، والتي تتم في فضاءات مجتمعية من قبل شعوب لم تختار المسار الانتخابي.

تُمَثِّل المقاولتية مرحلة متقدمة من الرأسمالية، حيث يتحقق إقناع الفرد بدوره الجديد في الاقتصاد. إذ لم يعد يمثل مجرد قوة عاملة للإنتاج أو مستهلك للمنتجات، وإنما، أيضًا، جزءا لا يتجزأ من هذا الاقتصاد، لأنه أصبح في حد ذاته نمطا للإنتاج.

هذا النمط من الإنتاج، الذي هو الفرد نفسه، يتجلى، على سبيل المثال، في وضعه كمنتج ذاتي لنفسه، حيث يكون هو نفسه السلعة المتبادلة داخل الاقتصاد. فهو نفسه –وضد نفسه– ينتج نفسه من أجل سوق الذاتيات. وحتى تكون هناك هكذا تبادلات، من الضروري وجود شكل معين من التدبير والإدارة، وهو ما يطلق عليه فوكو «الحوكمة» أو «العقل الحكومي»، أي الشروط التي تسمح بالتدبير والإدارة انطلاقا من الدولة الوطنية، «ما يتيح الحكم بعقلانية وفقا للاحتياجات» (Foucault، 2006: 329). أو، بعبارة أخرى، فهم كيف «يشكل الفرد نفسه كذات في علاقته بنفسه وبالآخرين» (Foucault، 2009: 58).

يُوفِّر هذا السياق النموذج ما بعد نيوليبرالي أشكالا لحكم الذات –وليس الآخرين فحسب– من خلال صياغة التقنيات الاجتماعية والعاطفية المتنامية من داخل الدولة الوطنية (على سبيل المثال، من خلال السياسات العمومية التي تخاطب الفرد) والتقنيات الخاصة بالسوق (التخصيص المفرط المستهدف للفرد، مثلا).

في النهاية، يتعلق الأمر بجعل الفرد "مقاولا ذاتيا جيدا"، و"طالب عمل مثالي"، ليس من خلال عمليات حكومية، وإنما عن طريق "العمل عن بعد" الذي يرتكز على "الاعتناء بالنفس" (Vázquez، 2005). أو بالأحرى، بالتهيئة القانونية والإدارية للفرد، حيث تتطلب الظروف الهيكلية للمجتمعات منه أن يوجه نفسه، سواء من خلال ممارسات الاعتناء بالنفس أو تفادي الإهمال، حتى تنتقل الجماعة إلى فاعل سياسي حيوي، يتقلص عجزه عن طريق "التكوين الذاتي" لتحقيق "حياة اقتصادية منتجة نسبيًا"، و"التهذيب الذاتي" لدواخله حتى يتسنى له "ضبط النفس" خدمة "لوضعه المتردي" (Lorey، 2016: 41 و42).

وتتمثل فرض هذه السياسة الحيوية، على سبيل المثال، من خلال ممارسات مقاولاتية مثل تلك التي يطبقها نموذج ريادة الأعمال. هذا هو الحال بالنسبة لتوفير الموارد المالية بغية تشجيع نساء السكان الأصليين على مباشرة الأعمال الحرة أو الترويج "للمدن الإثنية" أو، بشكل عام، السياسات العمومية التي تحفز على تحويل السكان الأصليين من فلاحين يعيشون الاكتفاء الذاتي، الآخذ في التردي شيئا فشيئا بسبب طبيعة الأراضي، إلى أصحاب أعمال حرة بدعم من الدولة في شكل "تمويل بذري" سرعان ما يصبح غير كاف بسبب متطلبات التنافسية، وبالتالي تتحول جهودهم من غرائبية إلى متقادمة.

إنه وبإيجاز، التحويل القسري للسكان الأصليين من التجريم، الذي تعرضوا له باستمرار، إلى أصحاب أعمال حرة، أي جعلهم المسؤولين عن مصيرهم المحفوف بالمخاطر، في إطار نموذج اقتصادي يحث على الدور التنظيمي للكفاءة لمواجهة الظروف الأولية غير المتكافئة. لكنها في الواقع لا تُنَظم، بالتحديد، إلا بعض ظروف السوق لضمان التدفق الحر للسلع، لتحاول الدولة الوطنية لاحقًا -بإمكانيات واقتناع يقلان في كل مرة- تصحيح عواقب الهشاشة المتزايدة.

الجزء الثاني
عولمة العدو

العولمة انطلاقا من صناعة الثقافة في قطاعي الاعلام والنشر[6]

إن العقلانية الحضارية وتعارضها الثنائي بين الحضارة والهمجية واضح تمامًا في الحالات التي شهدناها، وعلاوة على ذلك، يمكننا أن نلاحظها حاليًا في سياسات التمدن والتنظيم الترابي.

كما يمكننا ملاحظة شيء مشابه في سلسلة من الأعمال الأدبية في أمريكا اللاتينية. ففي حالة تشيلي، يبين Alberto Blest Gana، في روايته "ماريلوان" *Mariluán* (1862)، كيف يتعايش الهندي المتحضر (Mariluán) والهندي الهمجي (Peoquilén).

والشيء نفسه ينطبق على أدب الولايات المتحدة الأمريكية بفسحه المجال أمام روايات على شكل تمثيليات من قبيل «الأمريكيون المفقودون».

[6] يستخدم مفهوم الشبح هنا بمعنى الظهور، ولكن على وجه التحديد لأنه في حالة دائمة من الظهور والاختفاء، بحيث لا يمكن في النهاية جعله يختفي تمامًا: "الشخص المختفي دائمًا ما يظهر هناك، ومظهره لا يوحي بكونه لا شيء" [جاك ديريدا (2012). *أطياف ماركس. حالة الدين وعمل الحداد والنظام الدولي الجديد*. مدريد، دار النشر تروتا].

ولقد استغل العديد من المؤلفين شخصية الهندي كعنصر مركزي في تطوير الأدب الذي يعنى بالسكان الأصليين، مثل "آخر سلالة الموهيكيين" *The Last of the Mohicans* لكاتبها James Fenimore Cooper (1826)؛ و"تايبي: لمحة عن الحياة البولينيزية" *Typee: A Peep at Polynesian Life* لكاتبها Herman Melville (1846)؛ و"أغنية هياواثا" The Song of Hiawatha لهنري وادزورث لونغفيلو Henry Wadsworth Longfellow (1855)، من بين آخرين في الولايات المتحدة.

أما في أمريكا اللاتينية، فنورد كمثال رواية "طيور بلا أعشاش" *Aves sin nido* للكاتبة البيروفية Clorinda Matto de Turner (1889).

وعلى غرار ذلك، ظهرت خلال القرن العشرين، سلسلة من الأعمال الأدبية يتحلى فيها السكان الأصليون بصفات حميدة. يتعلق الأمر بالقصة الخاصة بالسكان الأصليين الجدد التي تجسدت خلال القرن العشرين (Alemany، 2013) في مختلف الأعمال الأدبية الأخرى في أمريكا اللاتينية من قبيل "العرق البرونزي" *Raza de Bronce* لكاتبها Alcides Arguedas (1919)، في بوليفيا؛ و"عاصفة في جبال الأنديز" *Tempestad en Los Andes* للكاتب Luis Valcárcel (1927)؛

و"الأنهار العميقة" *Los ríos profundos* بقلم José María Arguedas (1958)، في البيرو؛ ثم "أساطير من غواتيمالا" *Leyendas de Guatemala* لميغيل أنخيل أستورياس (1930)، في غواتيمالا؛ و"أواسيبونغو" *Huasipungo* للكاتب Jorge Icaza (1934)، في الإكوادور؛ و"الرعد بين أوراق الشجر" *El trueno entre las hojas* لكاتبها أوغستو روا باسطوس (1953)، في الباراغواي.

أما في حالة التشيلي، فنجد "أليخو المهجن" *El mestizo Alejo* (1934) و"الكريولا الصغيرة" *La criollita* (1935) لكاتبهما Víctor Domingo Silva؛ و"رانكيل" *Ránquil* للكاتب Reinaldo Lomboy(1942)؛ و"لاوتارو، محرر شاب من أراوكو" *Lautaro, joven libertador de Arauco* بقلم Fernando Alegría (1943)؛ و"روبلي أواتشو" *Roble huacho* لدانييل بيلمار Daniel Belmar (1947).

أخيرًا، وفي المكسيك، لدينا "أرض التَدْرُج والأيل" *La tierra del faisán y del venado* للكاتب Antonio Mediz Bolio (1922)، و"الهندي" *El indio* للكاتب Eduardo Luquín (1923)؛ و"الهندي" (1935، رواية اخرى) للكاتب Gregorio López y Fuentes (1935)؛ و"السطوع" *El resplandor* للكاتب

El "الصامت التسوتسيل و"ألم ؛(1937) Mauricio Magdaleno *callado dolor de los tzotziles* للكاتب Ramón Rubín (1948)؛ و*Balún Canán* للكاتبة Rosario Castellanos (1957)، من بين آخرين كثيرين.

عندما يتحدث دومينغو فاوستينو سارمينتو (1845) عن الحضارة والهمجية، فهو لا يُنتِج خطابًا ثنائيًا يفيد في تبرير الإبادة الجماعية التي مارستها الدول القومية في حق السكان الأصليين، فحسب، وإنما يُحدِث أيضًا انقسامًا طبقيًا عميقًا (Wallerstein y Balibar، 1991). وما يميز هذه الظاهرة هي أن السكان الأصليين سوف يبدأون في تشكيل طبقة لاطبقية، التي سيتم تجريدها تدريجياً من وضعها السياسي وإبعادها (اغتراب) تمامًا عن أي مظهر من مظاهر الصراع الطبقي. لأن وضع هذه الطبقة المختلف، بشكل أقرب إلى الطبيعة، يمنعها من امتلاك صفات طبقية، أو حتى من مجرد أن تشكل مجموعة تطالب بما لم تحصل عليه أو تحاول استعادة ما تعتبر أنه قد سلب منها، لتظل بذلك محكومة بتمثل تهميشي وتجنيسي على حد سواء، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بأسلوب حياة الأجداد، حسب ما تراه الدولة مناسبا، باعتبار المنتسبين إلى هذه الطبقة هم من "أهل الأرض" المفتقرين لأية تطلعات أخرى.

وبالفعل، فلا يتم تصور شعب المابوتشي إلا من خلال علاقته بالأرض، كحال معظم المجتمعات الأصلية في أمريكا اللاتينية والجماعات العرقية في أوروبا. فجميعها محكوم عليها بالاشتغال في الأرض إلى ما لا نهاية، كما لو كان تكافلا بلا مقابل. هذا التجذر يجعل منها غير مرئية مقارنة بالأنشطة البشرية الأخرى، ويجعل وجودها كمجموعات ممكنا فقط بقدر استيعابها العميق للحضارة، أي اندماجها الجذري داخلها.

هذه، باختصار، حضارة الهمجية، كتناقض لفظي، وفي نفس الوقت، ذروة المشروع الإنساني من وجهة نظر المركزية الأوربية. لأنه ماذا سيجني المشروع الحضاري إن ظلت وصوم الهمجية والفظاظة والوحشية لصيقة بالسكان الأصليين؟ أو ليس تحويلهم إلى كائنات متحضرة هو تعزيز للنموذج النيوليبرالي؟ فلا يمكن لهمجي القرن التاسع عشر لا مؤنسن أن يساهم في عملية التحديث في القرن العشرين، إلا إذا كان بمقدوره أن يتحول إلى قوة عاملة. ولا يمكن لهذا التحول أن يتم إلا إذا صار أهل الأرض فلاحين ريفيين، وهو الوضع الذي سيخول لهم مباشرة عملهم. فبدون هذه القوة العاملة لن يكون هناك تحديث، كما أن نزع الملكية وما يترتب عنها من هشاشة في الأوضاع الحياتية للسكان الأصليين هو السبيل الأكثر فعالية لضمان هذه القوة العاملة المنخفضة التكلفة.

ويتم تحقيق كل ما سبق حصرا من خلال ادراج الوضع الطبقي ضمن العرقي والسياسي ضمن الثقافي، وذلك عن طريق سلسلة من عمليات الإحلال التدريجي التي ستنتهي في القرن الحادي والعشرين بسلسلة من الاعمال الإثنية المميزة للرأسمالية، حيث تسود إعادة الانتاج المتسلسل للحرف اليدوية وطب الأعشاب، من بين مظاهر أخرى.

كما ذكرنا سالفا، في عمله "فاكوندو أو الحضارة والبربرية"، الذي ألفه من منفاه في تشيلي، لا يقدم لنا الأرجنتيني دومينغو فاوستينو سارمييتو (1845)، عملا ذا قيمة تاريخية وأدبية فحسب، وإنما، تحديدا، شهادة بليغة عن مشروع حضاري مستمر إلى اليوم لدى الطبقة الاقتصادية والسياسية المهيمنة.

وتحمل رواية "الثاركو" *El Zarco* لمؤلفها Ignacio Manuel Altamirano (1901) معنى مشابها، حيث تشكل اعتراضا على الصورة الرومانسية لشخصية قاطع الطريق، وتؤسس لـ«تمثيل الخارجين عن القانون بشكل بغيض». الرواية تقترح "صنفا جديدا من الأبطال"، وهم أولئك الأشخاص الذين يتعين عليهم التماس "سبيل للاندماج في الأمة الجديدة" (Sánchez، 2016). إذن، فرواية "الثاركو" تعمل كبيداغوجية لتفاعل الأفراد، الذين سيضطلعون بدور جديد في النظام السياسي والاقتصادي، ليستبدلوا "البطل الأسطوري قاطع الطريق" بـ "نموذج

العامل الأجير" الذي يعيش في الأمة الجديدة "للمكسيكي المتخلق والوطني" المسترشد بـ "المثل الليبرالية" (Herr، 2007).

وبهذه الطريقة، يقوم المشروع الحضاري على لعبة ثنائية حيث تسير الحضارة والحرية جنبًا إلى جنب، تماما كما هو الحال من الجانب الآخر، بالنسبة للعبودية والهمجية. من الواضح أن الحضارة الحرة تنتمي إلى أوروبا، أما الهمجية والعبودية فهي من نصيب أمريكا وآسيا وإفريقيا؛ حيث سيكون السكان الأصليون، كما السود، ضحية لرغباتهم الجامحة، التي تجرهم إلى عادات وتقاليد لا إنسانية، كالصراعات القبلية وتعدد الزوجات والطقوس الدينية. جميعها تعتبر أعراضا لعلة واحدة: الهمجية. وسوف يحسن العلم الحديث تصنيف هذه الوصمات، بحيث في أواخر القرن التاسع عشر والهمجي –بتعبيرفاكوندو سارمينتوعام 1845– لا يزال يقدم على أنه متوحش: «يغضب كالوحوش» ويعيش «في أغبى انفلات أخلاقي» (Miguel Zavala، 1868).

يُعَبِّر Ignacio Manuel Altamirano في رواية "الثاركو" *El Zarco*، التي تدور أحداثها في المكسيك خلال عامي 1861 و1863، عن رؤيته للهندي: «الهندي الرهيب الذي لا أتحمل رؤيته»، «هذا الحقير، وبصفته هنديا، له بشرة داكنة، قبيح المظهر ووقح». أما قطاع

الطرق فيصفهم بـ: «قطاع الطرق القساة»، و«شياطين لفظهم الجحيم» (Altamirano، 2009).

ومن جهتها، فإن شيطنة السكان الأصليين لها مرجعيات تعود إلى القرن السادس عشر: «وبإحضار هؤلاء الهمج كعبيد، وهم أناس متوحشون، سيخدمون جلالتكم وسيستفيد منهم الإسبان أيضا» (Cortés، 1526: 561). وعلى نفس المنوال، ومن منظور أخلاقي، يصرح Joseph de Acosta: «ونجعل منهم أعداء الرب» (De Acosta، 1590: 292).

سيتم الحفاظ على هذه المرجعيات أو الخلفيات في القرن السابع عشر، في حالة تبرير العبودية: «للجرائم التي ارتكبها هؤلاء الهنود، والتي بسببها يعاقبون بأن يصيروا عبيدا» (Calderón، 1607).

وبالمثل، نلاحظ هذه المرجعيات في تأريخ Guamán Pomas de Ayala للأحداث، حيث يبدو جليا دور التنصير في البيرو: «كل هذا يجب أن يُلقن للهنود حتى يستطيعوا ان يؤدوا الصلوات كل يوم» (Guamán، 1615: 232).

ثمة حالة أخرى ذات أهمية، نظرا لتأثيرها المباشر في نظام التعليم الوطني، هي حالة المربي الشيلي Tomás Guevara (1908) الذي، عند الإشارة إلى السكان الأصليين، كان يتحدث عن «شعوب غير ناضجة تعيش حالة من الهمجية». أما عند حديثه عن القدرات المعرفية للمابوتشي، فلقد كان يشخصه على أنه «يعجز عن تكوين فكرة عن عمل ما دون تنفيذه» (1908: 41)، بمعنى أنه لا يملك القدرة على التأمل فيما يفعله، ولا يسعه إلا التقليد. ونظرًا للأهمية التي تكتسيها، فستعقبها عقود من التعليم النظامي القائم بالأساس على الأعمال اليدوية والتدريس الحصري بالأدوات.

ولم تكن لغة المؤرخ Francisco Encina (1911) أقل شيطنة عندما تحدث بدوره، في بدايات القرن العشرين، عن السكان الأصليين باعتبارهم «السكان الأصليون الذين لم يغادروا العصر الحجري بعد» (Encina، 1911: 98-99).

وفي إطار هذه الأعراض، التي تضم تشخيصا اجتماعيا وثقافيا مرضيا على نحو جذري، سوف يتعزز المشروع الحضاري الذي توقعه سارميينتو (1845)؛ لأن منطقه الرئيس بسيط وفعال: الحضارة والهمجية. وكما سيعرض بشكل منهجي في أعماله التربوية حول الحضارة، سيكون كافياً إظهار مدينتين، إحداهما دمرتها الهمجية والأخرى في طريقها إلى

المصير ذاته. وهكذا يؤكد سارميينتو على أننا لن نشعر بالإحباط نتيجة المقارنة فحسب، بل أيضًا لمعرفة حقيقة أننا سنحتاج إلى أكثر من قرنين من الزمان لعكس هذه الهمجية. وسوف يجزم بأن هذه الحجج تدعم الحرب ضد العدو، لأنها السبيل الوحيد "لإعادة الحياة إلى المدن". إذن، وباختصار، فشيطنة العدو هي الاستراتيجية التي تسمح "بالحروب العادلة" (Agustín، [417] 2007)، تلك الحروب التي تبررها عدالة أهدافها. وبهذه الطريقة ستكون هناك دائمًا ذريعة للحرب ضد العدو ومسوغا لإبادته.

ويثير أغوستين، نفسه، بعض الأفكار التي ستتيح، في نظرنا، فهم بعض الجوانب الجوهرية. فعلى الرغم من كونه يعتبر الأمر لا أخلاقيا، إلا أنه يقترح المنطق التالي، والذي يبدو أنه يشرح، إلى حد كبير، ما نطرحه في هذا الكتاب: أن المجموعة المهيمنة يتحتم أن يكون لديها من تكرهه أو تخشاه حتى يكون لديها، هكذا، من تهزمه. في الواقع، يؤكد أغوستين أن الإمبراطورية الرومانية، بهذا المعنى، يجدر بها أن تكون ممتنة –حدّ "العبادة" بتعبيره– للظلم الذي كان سائدا في الشعوب التي غزتها وذبحتها، لأن ذلك الظلم هو الذي سيكسب حربها الشرعية العادلة. يتضح لي المبدأ، من هنا، بشكل جلي، فبقدر ما تتسنى شيطنة العدو بقدر ما يمكن تبرير أية حرب إبادة جماعية.

ومن جانبه، يمثل فاكوندو، بطل رواية سارميينتو (1845)، أيقونة الرجل الهمجي، سواء من حيث مظهره الجسدي أو سلوكه. إنه ذلك المجرم الخطير والماكر، في نفس الوقت، الذي يزرع الخوف في السكان. كما أن المقارنة بين حياة فاكوندو وخصائص المجرمين تسمح لنا بالوصول إلى خلاصة مهمة، إذ يمكن أن نجد تشابها بين وصف سارميينتو لبطل روايته ووصف Lombroso (1887) للإنسان المجرم.

بهذا المعنى، يؤكد Lombroso (1887) أن ثمة «صنفان متشابهان بشكل عجيب وهما يظهران علامات الرجل المجرم، وقد أتجرأ وأقول الرجل الهمجي، بوضوح مبالغ فيه» (Lombroso، 1887: 12).

والآن، لا شك في أن أحد أهم المؤلفات التي تتناول عملية صناعة وشيطنة العدو تتمثل في "مطرقة الساحرات" *Malleus Maleficarum*، حيث ستكون المرأة، هذه المرة، هي الشخصية النموذجية التي سيتم شيطنتها، إذ سوف تتهم النساء بكونهن الأكثر ميلا لممارسة السحر باعتبارهن "الأكثر سذاجة"، و"الأكثر حساسية، بطبيعتهن"، ولأنه "لديهن لسان زلق". ويستدل على ما سبق بأصل تسمية جنسهن، «فكلمة *fémina* (أنثى) تأتي من *fe* و*minus* (الناقص)، أي أنهن أضعف من أن يحافظن على إيمانهن»، خصوصا «الخائنات منهن والزانيات والمحظيات» (Kramer y Sprenger،

[86-1485] 2006: 114، 117، 124). إلا أن الأمر لا يتعلق بأية امرأة، فهذه العدوة فوق كل ما ذكرناه هي من النساء الفقيرات.

نحن، بشكل عام، أمام "عدو هذا الزمان" و"عدو المجتمع" الذي يحتل، فضلا عن ذلك، «المكانة الاجتماعية للعدو»؛ فعملية جعله عدوا تشكل "أساس استمرارية المهيمن"[7] (Racosta، 2018: 8 و17) ، أي وجوده ونشاطه التاريخي والمنهجي والمؤسساتي.

وكما نعلم، فإن وجهات النظر المتعددة هذه والمُشَيْطِنة للعدو ستبقى سارية هيكليًا إلى يومنا هذا، وخاصة من خلال الصحافة؛ إذ إن شيطنة العدو ليست ممارسة خاصة بالعنصرية الثقافية حصرا وإنما، في نفس الوقت وكما يوضح لنا عمل Lombroso "المتخصص"، هي جهد علمي وسياسي وتاريخي وما إلى ذلك من الحقول. كما أنه لا يعمل على جعل الآخر يُرى مختلفا فحسب، وإنما يُلجأ إليه بشكل خاص «عندما لا يُرى شيء»، و«عندما لا يُفهم شيء»، بل وأكثر من ذلك، عندما لا يراد أن يرى أو يفهم شيء (Mbembe، 2016).

وعلى الرغم من كل ما سبق، تُقَدِّم لنا صناعة النشر والإعلام أمثلة توضيحية عن إنتاج سرديات تنطلق من الأخلاق والرقابة والإنتاج.

[7]للتعمق أكثر في مفهوم "استمرارية المهيمن"، يجب مراجعة أعمال Azucena Racosta المستفيضة.

فعلى سبيل المثال، يفرض بعض علماء الطبيعة من القرن التاسع عشر رؤيتهم الأخلاقية على السكان الأصليين بدلاً من الاعتراف بالاختلافات، ويستعملون الشعارات الدينية في سياقات تستدعي نظرة أخرى للكون؛ أي أنهم لا يستطيعون إلا رؤية ما تسمح به تمثلاتهم الخاصة. ويكون الأمر أكثر بلاغة، بشكل خاص، عندما ينطلق أولئك الكتاب مباشرة من نوع من التدين، كما هو الحال مع المجلة الكاثوليكية La Revista Católica (1859) التي تسعى إلى ملاءمة الممارسات والأهداف بالانطلاق خصيصا من السياق المسيحي عندما يتعلق الامر بأفكار "النضال البطولي" أو "الاستقلال والحرية".

سوف يصف Mbembe (2016) هذه الظاهرة بالطيف، باعتبار أننا لا ندرك الشيء عندما لا يُرى ولا يُفهم، أو بالأحرى، عندما لا يُسعى إلى إدراكه، بالشكل الذي «جعل الأسود يخترع للدلالة على الإقصاء» (Mbembe، 2016: 33). وباتباع هذا الطرح، يمكننا القول أن صناعة هذا الطيف –أو ما يسميه Mbembe «شبح الوجه» أو «الوجه المُمَوه» أو «الصورة الظلية»– يخضع لعقلانية تحاول أن تحل «محل جسد ووجه رجل ما» استنادا على مصالح النموذج الاقتصادي الرأسمالي، الذي يسعى من خلال طيف السود والسكان الأصليين والمهاجرين والآثمين والنساء، من بين آخرين، إلى الإجابة على السؤال

الذي ظل يطرح بلا انقطاع منذ القرن السابع عشر: «ما السبيل إلى تشغيل عدد كبير من اليد العاملة لمصلحة إنتاج موجه للتجارة البعيدة المدى؟» (Mbembe، 2016: 54)؛ لأن الواقع يُظهر أن العبيد شكلوا «القوة العاملة الأكثر تنقلا» (Klein،2011). وعليه، فهي عقلانية أدواتية تستغل طيفا من السود والسكان الأصليين والمهاجرين والآثمين والنساء؛ أي أنه نظام تقني-تكنولوجي وقانوني-قضائي واقتصادي-سياسي واجتماعي-ثقافي معقد، تنتج عنه مجموعة من الخطابات والممارسات بهدف تبرير الهيمنة الاقتصادية والسياسية والتجريد من الأهلية الأخلاقية والاستخدام الفعال.

وفي حالة شبحية السكان الأصليين، يمكننا أن نجد، كما سبق ورأينا، تتابعا متشابها للأحداث بين السكان الأصليين في الولايات المتحدة والأرجنتين وتشيلي والمكسيك والبيرو وغيرها. إنها نفس القصة المليئة برموز اللاعقلانية العاطفية (البطولية والهمجية وعدم اللاإنتاجية) التي تفسح المجال لاحقًا لقصص مبنية على تمثيلات من قبيل الأناس المهمشين، أي كأشباح (هامشيين وأميين وغير مستقرين وضعفاء). وعلى نفس المنوال، يمثَّل السكان الأصليون في آداب هذه البلدان بشكل يشجع ويعزز عملية عدم التسييس، من خلال خطاب ثقافي يضعهم، بشكل خاص، في بعض الشعر الرومانسي وقصص العادات والمقالات الفلسفية

والدراسات العلمية وبعض الوثائق العامة، التي تتناول عادة بقاء السكان الأصليين (تزايد هشاشة وجودهم وانقراض لغتهم) وتكتسي، إلى حد ما، نبرة حنين تخلد ذكرى اختفائهم وسلبهم. يتكرر هذا الفصام مرارًا وتكرارًا عند وصف سكان الأمريكيتين الأصليين. وبهذه الطريقة، يصبحون شخصية دائمة في سياقات النوستالجيا والكآبة والخسارة والمعاناة والموت؛ لأنهم، وقبل كل شيء، كائنات مهمشة ومبعدة بينما يردد باقي المجتمع: كلنا شعب المابوتشي، أو كان يحتمل أن نكون سودًا (Mbembe، 2016).

علاوة على ذلك، وبالرغم من أنه يجوز لنا القول إن السكان الأصليين يشكلون جزءا من متخيل المجتمعات التي يعيشون فيها، إلا أن الأمر، في الواقع، يتعلق بنزاع دائم بين الاختفاء والمطالب وبين الإقصاء والإدماج، لا سيما الإدماج الذي هو، في الوقت نفسه، إقصاء. في هذه الحالات، يمكننا أن نلاحظ أن تمثلات الصناعة الثقافية تُظهر السكان الأصليين كأشباح، بمعنى أن المنطق الداخلي للدولة الوطنية الحديثة يستلزم هوس المواطنين بقومية يتم تعزيزها، من بين أمور أخرى، من خلال كتابات تستحضر بعض الأطياف التي تسمح بإثارة خطابات قومية تجمع بين الإحالة على الذنب الوطني وعلى انتصار المرء القومي. ومع ذلك، لا يمكننا أن ننسى أن الطيف، في ذات الوقت، ينظر إلينا ويقض مضاجعنا (De Peretti، 2003).

العولمة انطلاقا من الأنظمة الدينية والسياسية والقانونية والاقتصادية

يُعَد بناء «عدو حميم» (Nandy، 1983) من بين أهم الاستراتيجيات الخطابية والعملية، وهو ليس فقط خصمًا يمكن التعايش معه، ولكنه أيضًا عدو يجب تقزيمه والقضاء عليه (López، 2015).

خلال القرن التاسع عشر، تم تحديد هذا العدو بشكل ملائم في الأراضي المتنازع عليها، على الرغم من وجود علاقات الجوار في السابق. إنه عدو حميم لكونه ينبثق من الداخل، من القرب. هذه العملية، التي تتزامن في تشيلي والأرجنتين، تنطوي على تشويه السمعة من خلال الصفات السلبية ذات طابع أخلاقي، مثل استخدام تصنيفات البربر والوحش. يحدث هذا بالفعل للشعوب الأصلية في باقي قارتنا الأمريكية.

بينما، في القرن العشرين، كان العدو كذلك بقدر معارضته ومقاومته الطبيعية للتنمية الاقتصادية والحداثة، وفي هذه الحالة تم استرجاع الصور النمطية من فترات أخرى (القرنين السادس عشر والسابع عشر)، كصورة المتقاعس والعربيد وحتى المتمرد الذي يعادي النمو.

أخيرًا، يعتبر القرن الحادي والعشرون فترة تتسم بشكل خاص بالمطالبات والمطالب من منظور حقوق الإنسان، وبالتالي سيتخذ السكان الأصليون طابع حركة اجتماعية قوية، ولهذا لن يكون هناك أي تردد في تصنيفهم على أنهم إرهابيون. وبالتالي، فإن الإرهابي هو صورة المعارض دون موجب حق، الذي يهدد "النظام العام"، بحيث يستحق تطبيق القانون الجنائي عليه كعدو (Jakobs y Cancio، 2003)، هذا القانون الصادر من الدولة الوطنية للقوانين يتجسد في تطبيق قوانين مثل قانون مكافحة الإرهاب وقانون الأمن الداخلي للدولة وقوانين أخرى استثنائية.

لكن طريق بناء العدو الحميم تدريجي وفعال. يبدأ بخطابات وصم مجازية للغاية وتنتشر من خلال الصناعة الثقافية (خاصة الأدب والصحافة). يعمل هذا الوصم كمجموعة من سمات تشويه السمعة التي تشكل تمييزًا ممنهجا. بمجرد تنفيذ هذه العمليات، يصبح الاحتجاج الاجتماعي لمجموعات كبيرة جزءًا من التصنيف الإجرامي الذي تم إنشاؤه لهذه الأغراض (التجريم)، والذي وفقًا له سيكونون مذنبين دائمًا (التجريم). إن إحداث "القانون الجنائي للعدو" (Jakobs y Cancio، 2003؛ Gracia، 2005؛ Zaffaroni، 2006) أو "القانون الجنائي للفاعل المعنوي" (Zaffaroni، 2006) سمح بتشكيل مجموعة واسعة من الأعداء للجوء إليهم، كلما تطلب الأمر ذلك.

والملاحظ في هذه الحالات، أن عملية الاستعداء هي جزء من استراتيجية عالمية لتوصيف العدو، والذي صنع في سياقات معينة، من قبل الجماعات المسيطرة أو المهيمنة، بهدف تحقيق مصالحها الخاصة. وبهذه الطريقة، لا يقتصر الأعداء على المجرمين الخطيرين، ولكن أيضًا أولئك الذين يزعجونهم، مثل اللصوص الصغار والعاهرات والمثليين والسكارى والمتشردين، إلخ. (Zaffaroni، 2006). إنها نفس الإستراتيجية التي يصفهاAníbal Quijano بـ "cholificación" (وهي عملية تهجير السكان الأصليين نحو العاصمة أو الساحل)، كعملية للتخلي عن الثقافة الأصلية وتحويلها إلى الثقافة السائدة (Quijano، 1980). ستكون هذه العمليات واسعة النطاق في أمريكا ولن تكون مختلفة تمامًا عن المجموعات الأخرى، مثل الشباب، الذين يتم تمثيلهم على أنهم "العدو الجديد للمجتمع" (Reguillo، 1997) أو "العدو المؤجل" (Bolis، 2015). أو حتى ممارسة "إبادة الشباب" كاستجابة مؤسسية لـ "حرب عادلة" مفترضة ضد المخدرات أو غيرها من التهديدات (Valenzuela، 2015).

كما سنرى لاحقًا، فإن قضية المرأة كعدو لها خلفيات تاريخية عميقة جدًا. لنفترض، في الوقت الحالي، أن قتل الإناث هو تعبير عن سياق واسع للنزاع، تكون فيه المرأة هدفًا استراتيجيًا وليس تأثيرًا جانبيًا للحرب (Segato، 2014).

كما نرى، فإن عملية الاستعداء لها نطاقات مختلفة في المجتمعات، لأنها تنبثق من وصمات وصور نمطية معينة –العدو دائمًا هو المختلف– لتكتسب لاحقًا دلالات أخرى. وبهذه الطريقة، تكون عملية الاستعداء عبارة عن تراكم للخطابات والممارسات العنيفة التي يتم التعبير عنها في "نظرية المعرفة لنزع الملكية" (Vásquez، 2019)[8].

من جانب آخر، يُعتَبر القصد الإجرامي استراتيجية فاسدة لأنها استراتيجية فوقية، أي نتيجة العمل الذي تقوم به أنظمة مختلفة بشكل منهجي والذي لا ينجح فقط في إقناع المجتمع بالظروف الإجرامية للآخر، بل وأيضا الآخر (العدو الحميم) حول وضعه الإجرامي واستحالة إعادة تأهيله (نفس النظام السياسي والقانوني الذي يبرمج سياسات إعادة التأهيل والتنشئة الاجتماعية، والتي لا يؤمن بفعاليتها).

انطلاقا مما سبق –في إطار النموذج النيو ليبرالي– تُشكِّل تسميات الأَسْوَد والعِرْق محاور هذيان حقيقي أنتجته الحداثة (Mbembe، 2016). من الواضح أن الأمر يتعلق اليوم بتعبيرات مجردة بقدر ما هي فعالة في شيطنة العدو واستبعاده. في واقع الأمر، ففي الثقافة السائدة للصورة التي شهدناها على الأقل منذ بداية القرن العشرين، تنتقل

---

[8]للتعميق في مفهوم "نظرية المعرفة في نزع الملكية"، راجع أعمال Claudia Vázquez Haro.

العنصرية بين صورتين مركبتين، وهما صورة المجرم الذي يهاجم النظام وصورة المهمش المستبعد من النظام. ولكن في كلتا الحالتين، كانت هناك طفرات مهمة خلال القرن العشرين وستكون كذلك في القرن الحادي العشرين. يتعلق الأمر بتحولات في بنية الكراهية وخصائص العدو الحميم، بحيث يكون للكراهية، إلى جانب خلق هدفها كآلية دفاع ضد الضرر المحتمل (الحرمان من التوظيف والأمن وما إلى ذلك)، لديها دور مهم في بناء الأجساد (يمكن لهذا الآخر أن يحل محل المعني بالأمر)، كعاطفة تشرح الحدث، ولكن أيضًا كتأثير ناتج عن الحدث؛ لهذا السبب، وفي نفس الوقت الذي يُحكم عليهم فيه بالقيام بأكثر الوظائف تضحياتًا (مهاجرون كقطافو الفواكه وفلاحون كيد عاملة رخيصة في الحقول وما إلى ذلك) يُحرمون من أي مكان مهم في التاريخ (Ahmed، 2015).

كجزء من عملية الشيطنة، ظهرت في بداية القرن العشرين ملحمة حقيقية ضد الشر لتبرير الإبادة الجماعية السياسية والعسكرية التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر. هي سنوات الذكرى المئوية للدول القومية في أمريكا، زمن التقييمات، بحيث إن تذكر الهمجية والوحشية وفي نفس الوقت تكرار الجيش باعتباره إنجازًا، يكرس هذا الأخير باعتباره ملحمة حقيقية ضد الشر، وهو تناقض لفظي للحداثة النيوليبرالية يتم التعبير عنها من خلال قيم الثقافة الذكورية والشهم والمسيحية، القائمة على كتب

الفروسية والدروس الأخلاقية (Adorno، 1988). الملحمة هي ضد الشر والعدو يمثل الشر. يتعلق الأمر بعرض النماذج الأصلية التي تمثل المجموعة ككل. هذا هو المنطق الخطابي الاستعماري. يحدث الشيء نفسه مع ماهو أصلي الذي تحول، مع مرور الوقت، إلى صورة نموذجية تمثل البربري والهمجي والإرهابي والمستبعد والمهمش والمتردي. وبنفس الطريقة، فإن الساكن الأصلي هو النموذج الأصلي للعدو.

كل هذه اللغة تعيد إلى الأذهان لحظات أخرى من التاريخ، حيث ارتقت المذابح ضد الأعداء إلى ملاحم حقيقية، مثل "محور الشر" المكون من إيران والعراق وكوريا الشمالية بالنسبة لحكومة جورج بوش؛ أو إسناد الإرهاب بشكل عام واعتباطي للشيشان وجماعة ثاباتيستا، من بين آخرين، لتبرير الأعمال العسكرية.

ربما أحد الأمثلة الأكثر وضوحا هو مثال وزير الدعاية النازي Joseph Goebbels، الذي صمم حملاته على أساس استراتيجيات الاستعداء حيث كان المفتاح هو تحديد عدو واحد واستخدام، عند الضرورة، فئة لها القدرة على الجمع بين أعداء مختلفين (Goebbels، 1943؛ Roberts، 2000).

ومع ذلك، فإن هذه العملية الخاصة بصناعة العدو اليهودي لن تكون ممكنة بدون استراتيجية أكثر عالمية، مثل تلك التي قادها هنري فورد، الذي لم يكن يتردد في التحدث من موقعه المتميز عن "الطلاقة المتعصبة لليهود الشباب، دعاة ثورة اجتماعية واقتصادية، أو أنهم "يوجهون بالتساوي وبهيمنة مطلقة المسار الإعلامي للبلاد" لاستنتاج أن "السبب الأساسي لمرض الجسم القومي الألماني يكمن في التأثير اليهودي المفرط"، يضاف إلى كل ذلك مطالباتهم بالهيمنة العالمية وخطتهم لتقويض الإنسانية بالأفكار (Ford، 1975: 14، 16، 31).

لِنَعُد إلى حالة الساكن الأصلي، هذا هو زمن اضطهاد العدو، والذي سيصادف عملية تصميم وتركيب نموذج الدول القومية. إنه زمن المحنة بالنسبة للسكان الأصليين. زمن "حملة الصحراء" في الأرجنتين و"تهدئة لا أراوكانيا" في تشيلي والتعبيرات اللطيفة المستخدمة للإشارة إلى ذلك الجزء من تاريخ أمريكا الجنوبية الذي يتميز بسياسة الموت (Mbembe، 2011). تتسم هذه الفترة المظلمة بعمل حكومي خاص، حيث "يكمن التعبير النهائي للسيادة إلى حد كبير في السلطة والقدرة على تقرير من يمكنه العيش ومن يجب أن يموت" (Mbembe، 2011: 19). في هذا السياق، فإن إبادة الآخر ليس فقط ممارسة للسيادة، ولكن السيادة نفسها، ممارسة بسيطة للسلطة. لذلك، فإن صناعة الساكن

الأصلي كعدو ليس سوى الاستراتيجية المستخدمة لتبرير الاستعمال السيادي لحق القتل. إذا كان القتل شرطًا جوهريًا للسيادة، أو لنقل الوجه الآخر على الأقل، فإن دوره في تعزيز سيادة الدول القومية أمر بالغ الأهمية. بعبارة أخرى، لا توجد دول قومية بدون ممارسة استخدام العنف والقدرة على القتل.

بالفعل، من المهم أن نلاحظ أنه في نفس السياق، أن العلوم الاجتماعية، باعتبارها "كائن ومكون للمجتمعات وحاضن اجتماعي" (Wallerstein، 2007: 30)، خلال القرن العشرين سمحت بتوطيد المشروع الحضاري، لا سيما من خلال تعزيز التقسيم الأساسي؛ على سبيل المثال، في حالة التمييز بين ما هو قروي وحضري، حيث، بالطبع، يتميز المجتمع القروي (المجتمع الشعبي)، بالمقارنة مع المجتمع الحضري ("مجتمعنا الحضري الحديث") بكونه صغيرا ومعزولا ومتجانسا (Redfield، 1947)، من بين مظاهر أخرى.

سيحافظ هذا المجتمع القروي على نعوت البربرية، باعتباره معقلًا لوضع جاهل ومعوز، ويأوي أعظم مخاوفنا، سواء مما لا نريد أن نكونه أو ما ننكره، أي ماضينا وذاكرتنا والتراث الأصلي. هنا على وجه التحديد، في هذا المجتمع القروي، الذي ينضح بالبدائية، يوضع الساكن الأصلي، على هامش التقدم، ليصبح ما نخافه ونرفضه وننساه. يشكل الخوف والإنكار

والنسيان الأسس السياسية والأخلاقية للمشروع الحضاري. لهذا السبب بالذات، فإن أي محاولة لإعادة كتابة التاريخ واستعادة الذاكرة هي تمارين غير حضارية. الحضارة ممكنة فقط على رفات الآخرين المنفيين والمنكوبين والمنسيين. إن الأطياف، إذًا، كوجود للغياب، تشكل شخصيات مناقضة للحضارة والحداثة. فهي تتيح للأطياف الانفصال عن المؤامرة الحضارية والاستعمارية، وذلك أساسًا لأنه لا يمكن القضاء عليهم بشكل نهائي. سيكونون دائمًا هناك، يطالبون بوجودهم، لأنه لا يمكن قتل من قُتل من قبل، لأن الجراح ممزقة بين انتصار الحضارة وذنب البربرية، في هذه الحالة تنقلب الأدوار. باختصار، فهي (الأطياف) تشعرنا بالمخاوف التي أدت إلى المجازر والخطايا التي قادت إلى حداثة محكوم عليها بالفشل. توجد في معسكرات الاعتقال النازية، في بامبا جنوب الأرجنتين وغابات جنوب تشيلي، ومن هناك تراقبنا ليلًا ونهارًا. لا مفر منها.

من ناحية أخرى، سوف يدور المجتمع القروي في فلك النظرة العالمية للمقدس ("المجتمع المقدس")، ولكن بشكل خاص من وجهة نظر التقاليد (لا يمكن تحدي ما أصبح تقليدًا فيه)، بمعنى أنه تم تجاوزه من قبل المجتمع الحضري الحديث ونحن نرفض العودة إلى كنفه.

وعليه، فإن عملية صناعة الآخر كعدو، وكما سبق أن قلنا، سيتم دعمها وبقوة في تمييز «العرق»، بمعنى أنها ستصاحبها عملية معممة من عدم

التسييس. سيكون هذا ضروريا، على وجه الخصوص، للحفاظ على هذه العملية مع الوقت –بعد عدم تحقيق الإبادة الكاملة– لتجريد الساكن الأصلي الآخر من الوضع السياسي، بحيث تكون أي علاقة من لدن الدولة القومية دائمًا علاقة ثقافية، شبه عرقية، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يعد مستعملا.

في الواقع، ما سنلاحظه، انطلاقا من هذه المصفوفة العرقية والثقافية، هو بالتحديد عملية استراتيجية لنزع التسييس، من خلال:

1. الاستعمال المجازي اليومي للاختلاف والصراع من خلال الصناعة الثقافية.

2. عملية إضفاء الصبغة القضائية على النزاع، بحيث يتم حل الخلافات والصراعات فقط في محاكم العدل.

3. استراتيجية التجريم من جانب الدولة القومية بحيث يتم تعزيز هذا الشرط القضائي للنزاع من خلال الاستناد على قوانين استثنائية، مثل قانون أمن الدولة وقانون مكافحة الإرهاب وقوانين استثنائية أخرى.

وبطبيعة الحال، لتدبير ما سبق، لا يتطلب الأمر اللجوء إلى قوانين خاصة فحسب، بل يستلزم أيضًا إطارًا قانونيًا وقضائيًا معقدًا يسمح بتجريم الآخر.

هذا الإطار المعقد هو ما يسميه Jakobs y Cancio (2003) بالقانون الجنائي للعدو، ويتميز بشكل أساسي بما يلي:

1. بكونه مستقبليا في علاقته بالإجرام، أي أن وجهة نظره هي الحدث المستقبلي، وليس الفعل المرتكب.

2. العقوبات المنصوص عليها ثقيلة بشكل غير متناسب.

3. بعض الضمانات الإجرائية هي نسبية أو ملغاة.

بهذه الطريقة، يتم تطبيق القانون بمجرد تكوين العدو. بعد إثبات ما قيل، تتوقف الدولة الوطنية عن الحوار مع المواطنين وتلجأ لتهديد أعدائها. من الواضح أن الحد الفاصل ليكون في مجموعة دون غيرها ضعيف، وعلى أي حال، تكفي فقط إرادة الدولة القومية نفسها. في الواقع، إذا تفحصنا في تطبيق القانون مثل قانون مكافحة الإرهاب، سنرى أن فئة الإرهابيين يمكن أن تضم عددا متنوعا من الأفراد والمجموعات الاجتماعية؛ لأنها لا تعمل كفئة قانونية بل كشكل من أشكال التجريم الاجتماعي.

وبناءً على ما سبق، فإن القانون الجنائي للعدو "لا يثبّت القواعد، بل يشيطن مجموعات معينة من المجرمين"، ولهذا السبب "فهو ليس قانونًا جنائيًا للفعل المرتكب، بل قانونًا لمرتكب الفعل" (Jakobs y Cancio، 2003: 94).

ومع ذلك، إذا قمنا بتحليل الحجج المستخدمة لتطبيق قانون جنائي على العدو أو أفراد أو مجموعات معينة دون سواهم، فمن الواضح أننا أمام أسباب ذات صبغة رمزية حيث "تتميز هذه السلوكيات المزعومة لـ "الأعداء بانتهاك للقاعدة في علاقتها مع التشكيلات الاجتماعية التي تعتبر أساسية" (Jakobs y Cancio، 2003: 96).

وبالتالي، فإن الهدف من القانون الجنائي للعدو هو استراتيجي، وغالبًا ما تكون وظيفته تواصلية أكثر منها قانونية، حيث "شيطنة صورة مجموعات الفاعلين المصنفة ضمنيا –وهو اتهام مبالغ فيه– يعطي صدى لأفعالهم" وتدهشنا من جديد بسبب طابعها الخيالي، بحيث يجب رؤية وظيفتها الفعلية في تدبير الاختلافات وحل النزاعات، وتحديداً "في الإنشاء (الاصطناعي) لمعايير الهوية بين المستبعدين من خلال الاستبعاد" (Jacobs y Cancio، 2003: 100).

ومع ذلك، فإن القانون الجنائي للعدو يعمل أيضًا في اتجاه حرمان بعض الأشخاص والجماعات من صفة المواطنة، والذين يجب اعتبارهم فقط "مصدر خطر"، أي "كحيوانات متوحشة، لا يجب التعامل معها كما مع البشر" (Lyra y Wermuth، 2018: 111).

نفس التوصيف يمكن أن نلاحظه لدى Enzo Traverso (2003) حين قارن الطبقة العاملة والطبقات غير المصنفة للنظام الصناعي بمتوحشي وهمجي النظام الاستعماري. أخيرًا، ومع إقامة وتكريس نموذج ما بعد الليبرالية الجديدة، الذي يُفهم على أنه التدخل المشترك للدولة الوطنية والسوق ككتلة قوية، فإن عملية الخصخصة الحكومية ستضع الأعداء كمعارضين للتقدم والنمو الاقتصادي والنموذج التنموي في مجمله. سيكون العدو هو الذي يعارض نظام استغلال الموارد الطبيعية المستخرجة، وضرورة استخراجها (Zuboff، 2020)، وهوما سيهمش مرة أخرى "شعب الأرض"؛ ولكن في هذه المرة، كمعارضين نشطين، ينطبق عليهم وصفهم بالإرهابيين، وهو وصف استحدث مؤخرا وانتشر على نطاق واسع في العقود الأخيرة، لأنه في عصر حقوق الإنسان، هناك القليل من الأجساد التي يمكن إساءة معاملتها أو حتى القضاء عليها. ومن بينها على وجه التحديد أجسام الإرهابيين، وللسيطرة عليهم ثمة قوانين استثنائية مختلفة.

في الحالات التي سنراها هنا، تتعلق الأهداف المنسوبة إلى الأعمال الإرهابية المزعومة بجميع أشكال مقاومة أنماط صناعة النموذج الليبرالي الجديد؛ وفيما يخص الأبعاد والتنظيم والاستراتيجيات التي تنطوي عليها الأعمال الإرهابية المزعومة، فإنها عادة ما تكون مدمجة في أسلوب عمل الصناعة الثقافية المروع والنزاعي.

مما لا شك فيه أننا نواجه عملية عولمة العدو، والتي هي في نفس الوقت توسع مهيمن، وهو ما يترجم، من بين حالات أخرى، إلى الاستخدام الحصري للقوة والعنف[9]. لذلك فإن عولمة العدو ما هي إلا عولمة العنف، أي انتشار العنف في الجسد والروح، تكاثر العنف الذي يبيد ويهين ويقصي. بمعنى آخر، يتعلق الأمر أيضًا بالعواقب التي خلفتها عملية الاستعمار الطويلة وكيف لا يزال هذا الاستعمار يلقي بظلاله، والتي تحولت في معظم الأحيان من قبل نخب البرجوازية الكريولية –التي ستصمم وتثبت الدول القومية– إلى علاقات جديدة للسلطة ضد "شعب الأرض"[10]، حيث تشكل الأرض بالتحديد مجالاً جديدًا للنزاع. وعليه، بما

[9]نفهم هنا بشكل خاص دور الدولة القومية في الهيمنة الطبقية، في سياق رأسمالي تمارس فيه الطبقات المسيطرة ممارساتها السياسية (Poulantzas، 2007).

[10]هنا يتم استخدام تعبير "أهل الأرض" بمعنى مزدوج. أولاً، للإشارة إلى المابوتشي، وهم السكان الأصليون من جنوب الأرجنتين وتشيلي، الذين ورد

أننا نشهد أيضًا عمليات تاريخية ومنهجية وهيكلية، فإن النزاع على الأرض سيكون له أشكال مختلفة، بدءًا من الموارد الطبيعية المستخرجة إلى مصادرة الأملاك ونزعها، والتي تكثفت بشدة منذ منتصف القرن التاسع عشر؛ لكنها اكتسبت خلال العقود الماضية عادة سيئة أخرى، ليس فقط التنازع على الأراضي، ولكن أيضا أجساد أولئك الذين يعمرونها.

هذا الشكل الجديد من الصراع هو نتيجة لقرون من الجهود المُمَأسِسَة لإخضاع شعب الأرض، لا سيما من خلال صناعة هؤلاء كأعداء حميمين، أي أعداء مقربون ومتجاورون. أولاً، كهمجيين متوحشين يخافون بسبب ارتباطهم العجيب بالأرض، وهي علاقة شبه غامضة تجعلهم عمليًا جزءًا من تلك الأراضي غير المستكشفة وغير المعروفة وغير المطوعة وفي لحظة ما مرغوبة. هنا ينصهر الجسد والأرض في نفس المراد من الغزو؛ ولكن بما أن الهدف الرئيس هو الأرض وما يمكن استخراجه من باطنها، فإن الأجساد تخضع للتبشير أو يتم القضاء عليها بواسطة الدين والقوة. بعد ذلك، وعند إقامة الدولة القومية، يتجلى دور السياسة في ضم الأراضي واستغلالها.

ذكرهم على نطاق واسع هنا والذين يقصدون في اللغة الأصلية على وجه التحديد هذا: "تشي" = الناس؛ "مابو" = الأرض. في الوقت نفسه، يتم استخدام هذا التعبير هنا للإشارة إلى العلاقة بين مختلف المجموعات العرقية لأمريكا وأوروبا والأرض، كأساس لكسب العيش، وفي الان نفسه، كمكان للنزاع مع النخب.

في هذا السيناريو الجديد، سوف تكون الغلبة لوصوم أجساد السكان الأصليين القديمة، كأجسام متدهورة ومنهكة وبالتالي غير منتجة؛ بحيث أن المطلوب هنا هو استبدال الأجساد، من خلال سياسة نزع ملكية الأراضي (وما يترتب على ذلك من نقل إلى أراضي أقل إنتاجية) والاستبدال بأجسام منتجة، أجسام المستوطنين الأوروبيين، الذين تم دمجهم في النظام الاقتصادي الجديد، الذي يرى أن قيمة الجسد رهينة بالعمل، والذي بدوره تتم المقايضة به؛ في هذه الحالة كيد عاملة فلاحية – ونفس الشيء شهدته أوروبا، حين كان يتم تبادلها كيد عاملة صناعية–.

على أي حال، فإن عولمة العدو هذه هي ذريعة للدولة لممارسة حقها الكامل في قتل من يعارضها وللسوق أن تمارس، دون أعذار، حقها في استبعاد وتهميش أولئك الذين لا يشكلون القوة المنتجة. للعدو، في هذه الحالات، اسم (حسنًا، عدة أسماء محتملة): عديم الجنسية وخائن ومتمرد وإرهابي وهامشي.

عندما قررت دولتا تشيلي والأرجنتين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إبادة المجتمعات الأصلية في جنوب كلا البلدين، إلى جانب تدشين نظام قائم على سياسات الموت، قامتا بإرساء قواعد نموذج اقتصادي استعماري واستخراجي وخارجي، مع بعض الفروق الدقيقة في

القرن العشرين، سيفسر ببلاغة مسبقة ما نعيشه اليوم في القرن الحادي والعشرين. أي الانبعاث الشرس للصراع الذي أدى إلى تناحر بين الدول القومية والمجتمعات الأصلية، والذي كان سببه الرئيسي وجود شركات عبر وطنية تعمل في أشكال مختلفة من استغلال للموارد الطبيعية دون حسيب ولا رقيب، وهي نفس الموارد التي تم تسليمها في الماضي من قبل الدول القومية إلى مجتمعات المستوطنين الأجانب مع الرغبة الرئيسية في الإنتاج، وفي وقت لاحق، تحقيق الفائض في الأراضي الشاسعة، التي كانت تحتلها المجتمعات العرقية المتهمة، حتى ذلك الحين، بضعف الإنتاجية.

لقد كان زمن التقدم الذي لا يرحم، والذي لم يكن يقبل رؤية أخرى للعالم غير تلك القائمة على استغلال الموارد الطبيعية وتوليد الفائض الاقتصادي، وهو أمر ضروري لتمويل الدول القومية التي ظهرت قبل أكثر من خمسين عامًا إثر عمليات الاستقلال الاستعماري عن أوروبا والتي في خضم هذه العمليات ستواجه حروب رسم الحدود والنزاع على الأراضي القليلة لاستخراج المعادن المختلفة.

سيكون هذا التسيير العنيف للأراضي من قبل الدول القومية الناشئة هو الذي سيؤثر بعمق على العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، حتى يومنا هذا. فقد كانت المعالم التأسيسية لهذه الصراعات هي التدخلات العسكرية في الجزء الثاني من القرن التاسع

عشر، "حملة الصحراء" في الأرجنتين و "تهدئة لا أراوكانيا" في تشيلي – بغض النظر عن التعبيرات الملطفة–، وهي ميثاق سياسي وعسكري أنشئ بنفس الطريقة التي تم بها اختراع البرابرة الأصليين، عبر صحافة وأدب ذلك الوقت. تستجيب بنود الميثاق هذا لسلسلة من أعمال الإبادة الجماعية ضد شعب المابوتشي، وحتى يومنا هذا، لم تحظ بالمعاملة السياسية والقانونية اللازمة.

في كلتا الحالتين، يتعلق الامر بوضوح بتطبيق منظم ومنهجي وفعال لسياسات الموت، أي السياسات القائمة على قرار حكومي للدولة بشأن من يستحق الموت ومن يجب إبادته؛ في هذه الحالة، في الواقع، ستتجلى ممارسة السيادة من جانب الدولة القومية بشكل أساسي في الاستخدام الحصري للحق في القتل، إما بسبب احتياجات التمويل الاقتصادي للإدارة، أو بسبب متطلبات الأرض من أجل التحرر القانوني الإقليمي أو بسبب الرغبة في ممارسة السيادة على نطاق واسع وفرض النظام. في جميع هذه الحالات، أو في تضافر بعضها البعض، ومن الناحية العملية، يعتبر هذا تعبيرًا عن القوة السيادية التي لا تعرف حدودها، والتي تعرف فقط الرغبات التوسعية واستكشاف إمكانياتها في استخدام القوة.

من الواضح أنه أثناء هذه العملية المعقدة لفرض النموذج الليبرالي الجديد سيحدث موت الآخر. ليس موت أي كان، ولكن موت أولئك

الذين يعارضون أو يقاومون أشكال صناعة النيوليبرالية للرأسمالية. والآخر الذي يجب القضاء عليه هو الذي يبطئ إيقاع الإنتاج، وخاصة المجموعات العرقية والفلاحين والعمال النقابيين، إلخ. ما نشهده هو شيطنة وموت المهمشين الآخرين. إنها أشكال أخرى من الموت، وطرق أخرى للموت، في بيئة معادية وأمام نظرات أغلبنا (نحن) اللامبالية. إنه الموت الوحشي على الصفحات الأولى للقرية العالمية. إنه تمثيل متقن لموت المهاجرين والسكان الأصليين والسود؛ موت الاستغلال المفرط والمديونية، تلك التي نلاحظها في زوايا وأركان العولمة. هذا ما يسميه Owen Jones (2012) "الكراهية الطبقية" تجاه "الطبقة الدنيا المتوحشة"، أي "كره الطبقة الوسطى المهيمنة تجاه الطبقة العاملة".

باختصار شديد، إن قتل الآخر يبدأ بالقضاء على جسد الآخر باعتباره بربريًا ووحشيًا، مروراً بنزع الملكية ونفي الأجسام غير المنتجة، إلى الأشكال الجديدة من التهميش والإقصاء بسبب المنافسة والكراهية والطبقية، بالأسماء والملابس والموسيقى والعادات والكلام. هي حجج جديدة لأشكال جديدة من الموت. إنهم ليسوا فقط أجسادًا بلا حراك في ساحة المعركة، بل هم أيضًا أجساد مذمومة من قبل الصناعة الثقافية، التي أساءت معاملتهم وقامت بعرضهم وتمثيلهم بشكل مفرط، أجساد تحمل وصمة البروتوكول الطبقي. وبالتالي فهي جزء من أشكال جديدة من نزع

الملكية والنفي، وكذلك العمليات المتكررة للاستطباق أو استبدال فئة بأخرى على أساس إجراءات تسليع الأراضي، والتي تضاف إليها الأشكال المتطورة لإنتاج فائض القيمة في عمليات فقاعة العقارات.

إذا كان ما حدث في المخروط الجنوبي لأمريكا الجنوبية مع الشعوب الأصلية، خلال أواخر القرن التاسع عشر، واحدة من كبريات الإبادات الإنسانية، فإن القرن العشرين شهد إبادة جماعية أخرى، والتي ستختبر الآن نطاق مزاعم التصنيع -كدليل على الموهبة البشرية- لكن ذلك سيصبح في نفس الوقت علامة على البربرية؛ حيث من المفارقات أن البربرية ستكون إلى جانب الشخص المتحضر المفترض. في الواقع، يتناسب التصنيع عكسًا مع الإنسانية، بحيث تتبع المواهب البشرية في الصناعة طريق الموت. يرسم المصنع والموت مسارًا، حيث يتم تقديم التنفيذ المتسلسل، من خلال أجهزة عالية التقنية، فقط كإجراء إداري تكون فيه غرف الغاز والأفران قمة عملية متصاعدة لتجريد الموت من إنسانيتها ومقننتها.

بهذا المعنى، من الصعب فهم الرأسمالية بدون نزع الملكية، لأن التجريد من الملكية يوظف أيضًا كاستراتيجية "لفصل الرجال عن وسائل إنتاجية وإعادة إنتاج الحياة"، وبهذه الطريقة، يتم تحويل المحرومين إلى "قوة العمل الحر" وجعلهم "عرضة للاستغلال".

هذا ما يمكن أن نراه في نزاعات مختلفة، بعضها دائم وبعضها الآخر متقطع، حيث تكون السلع الاقتصادية والسياسية على المحك، والتي تعود بالفائدة على الدول القومية والسوق؛ تتراوح بين النفط في سوريا والعراق وإيران والكويت وكولومبيا وفنزويلا، أو الكولتان في الكونغو والخشب في كمبوديا والماس في أنغولا وسيراليون؛ حتى حالة المياه بين تركيا وسوريا والعراق (نهري دجلة والفرات) أو بين مالي ونيجيريا (نهر النيجر). تتميز كل هذه السلع السياسية بحقيقة أنها ناتجة، بشكل فعال، في حالة واحدة، عن حسابات اقتصادية وسياسية على حد سواء، بحيث يتم إنتاجها، على سبيل المثال، من خلال عمليات الحكامة الخاصة (أو خصخصة سلطات بنية الدولة)، التي يعمل فيه مسؤولو القطاع العام، مثل ما يحدث في حالات الفساد؛ أو، في الحالة الثانية، من خلال استخدام المعلومات أو القوة أو العنف لإجبار مجموعة على الانضمام إلى علاقة تبادل مضرة، كما يحدث في حالات الابتزاز. هذه الممارسات منتشرة على نطاق واسع، لا سيما في إفريقيا وأمريكا الجنوبية، أي على محور جنوب-جنوب.

تتنوع استراتيجيات نزع الملكية وتتراوح بين الشراء والبيع بالاحتيال (على سبيل المثال، عدم الاعتراف بالقيمة الحقيقية للأرض) والتسوية القضائية (عندما يتم أخذها من البعض وتسليمها للآخرين من خلال قرار

إداري) إلى إثارة سيناريوهات من العنف الذي يجبرهم على التخلي عن الأرض. تبين لنا دراسة دقيقة لهذه الحالات أنها تبدأ بتحويل أولئك الذين يسكنون الأرض إلى نوع من العدو غير القادر على إنتاجها، وبالتالي لا يستحقها. بعد ذلك، سيعتمد استخدام القوة على الاتفاقات المحتملة. في بعض الحالات، يتم الاعتماد على عملية التقليص، سواء تعلق الأمر بتخصيص مساحات صغيرة من الأرض أو وضعهم في قطاعات ذات إنتاجية ضعيفة، إذا أمكن كلاهما، كان ذلك أفضل. سيكون مقياس المقاومة هو مقياس استخدام القوة.

إن التحدي المتمثل في التفكير في "الآخر" كساحة للصراع المستمر يمكن أن يكون تمامًا أحد المعالم التي تشرح بشكل أفضل أصل ووجود تواصل بينثقافي في أمريكا؛ سواء كان هذا "الآخر" أسودا في الولايات المتحدة، أو من السكان الأصليين في أمريكا اللاتينية أو مهاجرًا في ديناميكيته الدائمة "المهاجر المقيم في البلد المستقبل – المهاجر إلى بلد آخر"، حسب الحالة الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية.

بهذا المعنى، فإن قراءة يوميات كولومبوس تُظهر الأخر كجزء إضافي من الوصف الذي يتكون من الطبيعة ومناظرها. وبالتالي، فإن الآخرين غير موجودين عمليًا في نظر كولومبوس، ولا يمكنه رؤيتهم في

تفردهم لأن الاختلافات تفوق قدرته البصرية: "ثم جاء الناس عراة"، كما يقول كولومبوس في 12 أكتوبر 1492. العري، بالنسبة له، يبعد الناس عن الثقافة ويجعلها جزءًا من الطبيعة. هذه الرؤية الأولى تكرس الحرمان والنقص والعوز كاستعارات للاعتراف بالآخرين. يجب أن نتعلم من هذه التجربة ونترك وراءنا صور محملة بالأفكار المسبقة والقوالب النمطية ووصمات العار عن الآخرين، لا سيما عندما يترجم ذلك إلى أشكال من التمييز والإقصاء.

في الواقع، وكما رأينا، يتم اختزال الآخر إلى موضوع غريب، جسد متنازع عليه وممزق بين الوجود والعدم وبين الوجود والغياب وبين الماضي والمستقبل وبين الحياة والموت. بدون أدنى شك فتنفيذ المشروع الحضاري قد شهد، على الأقل، ثلاث محطات أساسية، والتي تتوافق بدورها مع أربعة أشكال من عولمة العدو:

1. العدو كجسد ناقص، حيث يعمل الآخر العاري كاستعارة للتهميش.

2. العدو الهمجي والوحشي الذي أن يخضع للتبشير ويكون الدين خلاصه، وهي استراتيجية كان لها دور تاريخي راجح (Milner، 1914).

3. العدو الثائر الذي يجب تأديبه بأمر من الدولة القومية، خاصة فيما يتعلق بالتحكم في إنتاج خطاب الهوية الذي تمارسه الدولة والذي، وعلى وجه التحديد، "يؤسس مطالبتها الأساسية بالسيادة وشرعية السلطة" (Mbembe، 2011: 46).

4. العدو غير المنتج الذي يجب أن يتحول إلى مقاول داخل السوق. بمعنى أن الثروة تُنتَج على الرغم من وجوده وأن الفقر هو مسؤولية حالته فقط (Milner، 1914: 170).

وبهذا المعنى، فإن الآخر سيشكل ميدانًا للصراع من أجل هذه الأوامر الثلاث، بحيث يخضع هو نفسه لعملية نزع التذويت ستشمله وتستبعده بشكل منهجي.

من جهتها، تستبدل الدولة القومية محل شخصية "البطل" "المستقل والحر" الضروري في مرحلة تأسيسها وتنصيبها، بصورة الواجب والوطنية، الحاسمة لترسيخها.

في غضون ذلك، سيعرف السوق كيفية إغواء النظام والترويج للآخر كمقاول لا يحتاج إلا إلى رأس مال بذرة صغير لتطوير مبادراته. لا تلزمه سوى دفعة للمضي قدمًا والتوقف عن كونه عبئًا على النموذج

الاقتصادي، وفي الأخير، على الدولة. في هذه الحالة، يتم إخضاع العدو لأنه أخيرًا اندمج. ليس كجسد قرباني للعدو الذي يحارب كبطل –ولكنه يموت أيضًا على هذا النحو– أو كالوطني الذي استدعي للدفاع عن الوطن المشترك أو الامتناع عن المقاومة –تحت طائلة العقوبة أو السجن أو النفي–؛ ولكنه بشكل خاص كجسد عامل يغذي نظام الإنتاج. لكن النموذج النيوليبرالي غير مكتفٍ بالفلاحين الذين يساهمون في استغلال واستخراج الحراجة الزراعية كما في الستينيات والسبعينيات وحتى في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين. فالتقنيات والتكنولوجيات الجديدة تحل محل هذا العمل.

يستدعي النموذج النيوليبرالي في مرحلته الحالية عقولا إبداعية في أجسام سهلة الانقياد. والنوع الجديد هو نوع الساكن الأصلي القادر على إعادة إنتاج الحرف اليدوية، على المدى المتوسط على الأقل؛ له القدرة على تجهيز منزل أجداده للزوار، حتى أنه يمهد الطريق لتسهيل وصولهم ليس بشكل كبير وإنما ما يكفيه لتحقيق التوازن الصحيح بين المفاجأة والتوقع والراحة.

تتغذى الرأسمالية الشاملة على الأنثروبولوجيا التي تحيي علم المتاحف بعين المكان، أي أن مظاهر ثقافة الآخر يمكن ملاحظتها في مكان الآخر، في نوع من الاستهلاك الكلي؛ ومع ذلك، فإن التجربة

المثالية هي تلك التي يتم فيها إحياء التجربة في مساحة مشابهة لـ "الأصلية"، ولكن في مكان آخر، إنه ليس متحفًا بالضبط. الشيء الأكثر دقة هو القول إنه متحف محمول لمراقبة "واقع ثقافي" يمكن نقله أيضًا، الأقرب إلى السينما ثلاثية الأبعاد.

وبمعنى مماثل، فإن هذه الرأسمالية النيوليبرالية المعاصرة، سواء أكانت خاصة أم دولة كما رأينا، تميل إلى تحويل الإنسان إلى ذات يمكنه تحقيق أقصى إشباع لرغباته، ولكن دون أن يكون بالتالي مستقلًا عنها؛ لذلك، في الوقت نفسه، فإن الرأسمالية "تجبر على إنتاج عالم عام"، من خلال اللغة والنفسية (Poulain، 2017: 147 و148).

بهذه الطريقة، يتم بلوغ الاندماج الكامل للجسد ومحيط الجسد الآخر[11]. إنه الآخر وما أنتج هذا الأخير. إنه الحرفي وأعمال يديه المعروضة؛ يتحقق التعبير الأقصى عندما يكون المعروض هو جسد آخر مرسوم أو موشوم، مع انطباعات عمله الخاص. ينصهر الجسد والعمل معا،

---

[11] تستخدم هذه التعبيرات لتوضيح ذلك بشكل أفضل، كما هو الحال في العلاقة بين النص والسياق، فإن الجسد وبيئته هما اللذان على المحك. الجسد وامتداداته، أشكال يديه.

ويذوبان إلى ما لا نهاية. إنه إحياء مخيف للمتحف العام في لا بلاتا[12]، الذي تتوافق مجموعاته مع رفات السكان الأصليين الذين عاشوا وماتوا في بيئة مؤسسية، أي نتيجة "غزو الصحراء"، إبادة جماعية عسكرية نفذت من قبل الجيش الأرجنتيني. إحدى السمات المميزة هي حالات السكان الأصليين الذين عاشوا وماتوا في المتحف، كجثث استولت عليها مؤسسة اعتبرتها فقط مواضيع بحثية. تُعرف حالة إيشي في جميع أنحاء العالم، وهي واحدة من آخر الناجين من سكان ياهي الأصليين، والذي تم أسره للعيش في متحف الأنثروبولوجيا بجامعة كاليفورنيا.

باختصار، لا يزال جسد الآخر محل نزاع، في عرض دائم. تحدث إحدى أكثر المشكلات الاجتماعية والثقافية تعقيدًا عندما يتم تجريم مجموعة ما بشكل منهجي داخل المجتمع بسبب الأحكام التاريخية. هذا ما يحدث خاصة مع السكان الأصليين. لكن المشكلة الأساسية، كما سنرى، هي كيف تؤدي كثافة هذه العملية إلى القصد الإجرامي.

---

[12] تأسس المتحف في لا بلاتا، الأرجنتين في عام 1884، وكان الهدف الرئيس لدراستها هو الساكن الأصلي. منذ عام 1906 وهو جزء من جامعة لا بلاتا الوطنية بالأرجنتين. بين عامي 1994 و2006 قام المتحف بإعادة الرفات. منذ عام 2006، كانت السياسة تقضي بالتوقف عن عرض الرفات وإعادتها بناءً على المطالبات الفردية.

تتضمن عملية القصد الإجرامي بشكل عام مزيجًا من (**1**) الفعالية القانونية والسياسية (وليس أقل إثارة)، (**2**) الديناميكيات التاريخية للهيمنة و(**3**) بعض الفوضى في العلوم الاجتماعية.

أولاً، لأنه من الواضح أن النظام القضائي والقانوني يحاول تحقيق مستويات من الكفاءة والنجاعة عند تفسير بعض الممارسات الاجتماعية على أنها جرائم، من أجل فصل الأفعال الإجرامية من تلك التي ليست كذلك، بصرف النظر عن التصنيف نفسه، على سبيل المثال القانون الجنائي المعمول به؛ ومن ثمة، لن يتم تفسير، وبشكل عملي، كل فعل مُجرَّم على أنه جريمة. وبهذا المعنى، فإن الشيء المهم هو ملاحظة كيف تهتم الدولة القومية بتفسير بعض الممارسات الاجتماعية للسكان الأصليين على أنها جريمة، في سياق مجموعة من الأفعال المُجرمة، مثل الاحتجاج الاجتماعي واسترداد الأراضي، وما إلى ذلك. السؤال المطروح هو على ماذا ترتكز الدولة القومية فعليا لتجريم بعض ممارسات السكان الأصليين من بين جميع السلوكيات الاجتماعية التي تجرمها. في هذا الصدد، يقول Misse (2010) إن "درجة تجريم – معاقبة الممارسات والفاعلين متفاوتة وتعتمد، إلى حد كبير، على تركيز الاهتمام (المادي أو المثالي) في مواضيع معينة" (Misse، 2010: 26).

كما أسلفنا الذكر، يكمن تعقيد المشكلة في القصد الإجرامي، الذي يُفهم على أنه الاقتناع الذاتي لدى مجموعة اجتماعية بنزعتها الإجرامية كوضع ذاتي، ناتج عن نمط إنتاج رمزي منظم ومؤسسي، والذي من بين أمور أخرى، تشارك فيه الدولة القومية، خاصة محاكم العدل والحكومة عندما تصبح جزءًا فاعلًا في الاتهام، والصناعة الثقافية، ولا سيما الصحافة المهيمنة في دورها كَمُهَلِّلَة للسلطة. كما يشير Misse (2014: 204)، إنها "عملية اجتماعية يتم من خلالها نشر تطلعات سلبية على الأفراد والجماعات، مما يجعلنا نعتقد أن هذه التطلعات ليست فقط أكيدة وإنما تشكل جزءًا لا يتجزأ من ذاتيتهم".

بهذا المعنى، يتخذ الخضوع الإجرامي للآخر بطرق مختلفة، لا نهائية لاستعارة الحضارة والهمجية، كأسلوب دائم لمنع الحركات الاجتماعية من الوصول إلى السلطة. وبالتالي، فهي سلسلة من الاستراتيجيات لرفض الآخر، "القذر، غير الأخلاقي" (Malaguti، 2016) وأي شخص يهدد امن واستقرار الوضع الراهن.

من ناحية أخرى، يمكننا أن نلاحظ عملية عامة وعالمية للخصخصة (Houtart، 2007). وبهذا المعنى، يتم تناول مسألة خصخصة الحكومة، والتي تتزامن في نفس الوقت مع خروج الدولة القومية، وفقدان صلاحياتها لفائدة عولمة السوق، مع انتشار استخدام القوة والعنف.

إذا فهمنا الحكومة باعتبارها أنماطا لتنسيق العلاقات الاجتماعية المترابطة، بدءا من التفاعلات الأساسية إلى التفاعلات أكثر تعقيدًا (Jessop، 2008)، فسوف نلاحظ الخصخصة في دور قوى السوق وفي ديناميكيات إكراه الدولة. وحتى في الشبكات الأفقية التي تم إنشاؤها. ومع ذلك، لماذا تمكنت الخصخصة من الوصول إلى مستويات مختلفة من النشاط البشري؟ سنقول ذلك أساسًا لأن رأس المال قد نجح في ترسيخ نفسه كعلاقة اجتماعية (Jessop، 2008).

وبهذه الطريقة، فإن الخصخصة ليست فقط استراتيجية للنموذج النيوليبرالي من أجل ترسيخه، ولكنها أيضًا قوة تحرك الإرادات وبالتالي تصبح "نموذجا للفساد المنتشر، الأكثر فضيحة ولاأخلاقية وبذاءة وفاحشة " (García Linera، 2016: 14).

تتضمن خصخصة الوظائف الحكومية، بالطبع، خصخصة مجالات مثل "الأمن العام"، والتي بدورها تُترجم إلى تغييرات عميقة في دور الدولة القومية في "إعادة الإنتاج الاجتماعي"؛ بحيث يتغير "التنظيم الداخلي" للدولة القومية أيضًا، وفقًا لمنطق "الأمولة"، أي "إدخال التحكيم التجاري ومبادئ التقييم والمنافسة في المؤسسات المسؤولة عن تنفيذ سلطة الدولة"، مثل الاستعانة بمصادر خارجية أو "التعاقد من الباطن لوظائف وأنشطة الرقابة الاجتماعية" (Manigat، 2020: 61).

إذا قمنا بتحليل الأزمة الحالية للعدالة في أمريكا اللاتينية، على سبيل المثال، فسنشهد أزمة إجرائية وظيفية وأخرى تتعلق بشكل أساسي بالمصداقية والبناء الاجتماعي للمعنى، ناتجة عن الخطاب والممارسات المستمرة للدول القومية للحفاظ على النظام العام (وهو أمن الملكية الخاصة) والأمن الاجتماعي والاقتصادي (وهو أمن المصالح التجارية متعددة الجنسيات) والاستقرار السياسي (في مواجهة مشاكل التمثيلية)، في سياق اللجوء الدائم إلى استخدام القوة للحفاظ على الأمن.

ليس هناك شك في أن عصر عولمة السوق هو أيضًا عصر خصخصة الدول القومية. إذا نظرنا فقط منذ بداية القرن العشرين، فمن الواضح أن الدول كانت تتمتع بصحة جيدة، قوامها الرئيسي، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، الاغتناء الذي تم تحقيقه من خلال استراتيجيات نزع الملكية المختلفة. لم تظهر الأزمة الاقتصادية العميقة لعام 1929 سوى ضعف النظام، ولكن ما تلا ذلك كان التثبيت التدريجي لنموذج جديد أكثر راديكالية، تأسس في السبعينيات والثمانينيات.

هذا النموذج النيوليبرالي سوف يتجذر بعمق ليس فقط في السوق، ولكن بشكل خاص في الدولة القومية نفسها. على سبيل المثال، اقترح Milton Friedman (1975)، أحد رواد هذا النموذج، في خطابه الشهير عام 1975 في تشيلي (أقل من عامين بعد الانقلاب

المدني العسكري) أنه بسبب هذا التغيير في النموذج لم يؤمن بالسياسة التدريجية للدولة القومية. يتجلى اقتراحه في تطبيق العلاج بالصدمة للتعامل مع الفوضى، وخاصة التضخم. لهذا، يستشهد بحالة البرازيل كمثال جيد جدًا. إن الخطة بسيطة للغاية من الناحية الاقتصادية حيث تعمل على تعزيز "سوق رأس مال أكثر صلابة واستدامة وكفاءة" (Friedman، 1975: 20)، والتي تنعكس بوضوح في بطء خصخصة الدولة. أضاف قائلا وبتهكم إنه السبيل الوحيد لتجنب وفاة المريض (الحكومة) والتأكد من أن العلاج له آثار جيدة. كما نرى، سيؤدي هذا المسار حتمًا إلى خصخصة جذرية للممتلكات العامة، وترك التعليم والصحة والتقاعد في أسوأ السيناريوهات، أي الاعتماد وبشكل مطلق على لعبة السوق وعلى العرض والطلب وتسعير تعسفي بناءً على التفسير الذي يقدمه العرض وفقًا لشروط الطلب. بدون ذرة حياء. إنها نسخة جديدة من سياسات الموت، حيث يتم وضع السياسات من قبل السوق على هواها؛ لأن الدولة القومية مشغولة للغاية في تنظيم وتغطية الفجوات التي خلفها نموذج لا ضمير له.

باختصار، لقد وصلنا إلى ثالوث من العولمة الملازمة: عولمة السوق النيوليبرالية، عولمة خصخصة الدولة القومية وعولمة العنف. الدولة اليوم

محكومة بالوظائف الأساسية التي تعيدها إلى زمن الطوارئ: إدارة العنف وإدارة البؤس وتنظيم بعض الشروط الدنيا لضمان التدفق الحر للبضائع.

من ناحية أخرى، لشرح تحديات الخطاب السياسي، يستخدم Lakoff (2007) مفهوم الإطار، والذي وفقًا له لا يقتصر أساس أي استراتيجية على الاستخدام الفعال لبلاغة محتوى ما نتحدث عنه، ولكن بشكل خاص القدرة على تحديد الظروف المناسبة لما يجب التحدث عنه. إن الذي يفوز في الانتخابات -كما يقول Lakoff- هو من يستطيع استدعاء الآخر وتطويقه في شبكات إطاره الخاص. يوضح Lakoff أن الإطار الذي يجب على المرشحين الديمقراطيين في الولايات المتحدة تجنبه هو الذي قادهم إلى "التفكير في الفيل"، وهو رمز الحزب الجمهوري بامتياز. التفكير في الفيل -كما يقول المؤلف- هو الخطوة الأولى لهزيمة الديمقراطي، لأنه سيكون في إطار لا يسيطر عليه، وقيمه غريبة عنه. لا يمكن الاستفادة من أي نقاش، وبدلاً من ذلك يجب أن يكون قادرًا على بناء أطره الخاصة.

ربما تكون خلفية هذه الخدع الظاهرة بسيطة للغاية. بالنسبة لعولمة النموذج النيوليبرالي، من الضروري تحقيق عولمة العدو أولاً. تتضمن عولمة العدو، من ناحية، صناعة عدو عالمي، ومن ناحية أخرى، فكرة العدو

الكامل. في هذا السياق، تصبح العولمة النيوليبرالية لا تطاق بالنسبة للأشخاص المستبعدين والمهمشين، ولا تولد فيهم شعورًا بالظلم فحسب، بل أيضًا رد فعل جذري (Poulain، 2017). ومع ذلك، كما يقول Achille Mbembe (2011)، سيتم الخضوع التام عندما يفقد المنزل وحقوق الجسد والوضع السياسي، ويميل العدو إلى تجميع هذه الخسارة الثلاثية. العدو ليس العدو فقط، بل هو المعارض، لأنه يجب أن يكون أيضًا العبد والتابع. عندها فقط يكون مفيدا للسوق ونموذجها النيوليبرالي. بهذا المعنى، يظهر العدو-العبد، بطريقة أو بأخرى، في من لا مأوى ولا أرض لهم والمرضى المزمنين والسجناء السياسيين. ونحن الآن نرى العدو المعولم بشكل أكثر وضوحا.

من ناحية أخرى، من المثير للاهتمام ملاحظة الانتشار العالمي لظاهرة خصخصة الحكومة، بحيث تكون استراتيجياتها وعملياتها على نطاق واسع، ليس فقط بسبب قدرتها الذاتية، ولكن أيضًا بسبب الطريقة التي يتم بها استيعابها في ذواتنا. يتعلق الأمر إذن بشكل خاص بإلباس الحكومة رداء النيوليبرالية، ولكن ليس كمجرد صفة، بل كتصرف عقلاني، أي كجزء من دستورها ذاته؛ بحيث يكون ما هو نيوليبرالي داخلا فيما هو حكومي، وهذا الأخير يحقق أقصى تعبير له على وجه التحديد

كنيوليبيرالي. لا عداوة بينهما -كما يوحي بذلك تفسير ساذج- لأن الصراع يحصل على توليف في العلاقة بين الحكومة والسوق.

نتيجة لما سبق، تتحقق عولمة النموذج النيوليبرالي، على وجه التحديد، بينما تفقد النيوليبرالية حالة الفرض الخارجي ضد إرادة الاشخاص، لتتحول تدريجياً إلى قوة تولد من الإرادة نفسها، والتي تتشكل في الرغبة الفردية التي تعمل بشكل استراتيجي ضد أنفسنا؛ إنه، بهذا المعنى، نسيج عميق، تجاري ومنتج وعاطفي في نفس الوقت. يصبح النموذج النيوليبرالي معولمًا على وجه التحديد لأنه يعشش في كل واحد منا ومن هناك (وليس من الخارج) يتمكن من توحيد الإرادات. إن رحلة النيوليبرالية لن تكون ممكنة إلا من خلال الاستخدام الواسع النطاق للتكنولوجيات الاجتماعية، التي لا تعمل فقط على جعل الواقع مفهومًا، ولكن أيضًا من خلال توجيهه من منظور معين.

يتعلق الأمر بمختلف أساليب الخبراء للذاتية من أجل فحصها وتشخيصها وتصنيفها، مثل اختبارات الذكاء ومقاييس الكفاءة التي تُستخدم على نطاق واسع في المجتمع، وهي جزء من مجموعة معقدة من التقنيات البشرية المصممة لتوجيهها إلى الناس. من الواضح أن هذه القيادة ليست محايدة ولا تنتمي إلى "ثقافة خبراء" واحدة، لكنها تأخذ تعابير مختلفة. تتوافق الطرق المختلفة لإدارة السلوكيات ومقاولاتية الأفراد مع هذه

العقلانية (Vázquez، 2005)، مثل العلاج المهني وتدخلاته لتحسين الأداء الوظيفي (العمل) والسياسات العامة والخاصة الموجهة نحو ريادة الأعمال أو التعبير عن الرعاية الذاتية، كل ذلك، بطريقة أو بأخرى، يُترجم إلى تمثيلات مجازية لـ "الإدارة الذاتية"، كما هو الحال عند الحديث عن "مواصفات رائد الأعمال وأساليبه"، أو "الاختلافات بين المستخدم ورائد الأعمال"، أو شعار "تَعَلَّم أن تكون شَرِكَتُك" و" Yo S.A. de CV"، إلخ.

إن مبدأ ريادة الأعمال، بهذا المعنى، هو خلاصة عملية التسويق المطلق للرأسمالية، والتي تبدأ بكل قوة العمل (Virno، 2003)[13] المنفصلة عن رأس المال وأنماط إنتاجه شديدة التركيز، وتستمر بالتعبيرات الأيديولوجية الجديدة لتقليص الفرد في الصناعة الثقافية، وتستمر مع العمليات السياسية الحيوية والنفسية السياسية، لكي تكتسب في الأخير التعبيرات الحالية التي تختزل الفرد في أشكال مقاولاتية أو الإدارة الذاتية لحياة في تبادل مادي ورمزي وعاطفي غير منقطع داخل نظام يزداد قربا، وبدون مقاومة عمليا. باختصار، كما سبق وأن رأينا، فإن هذه الأنماط المختلفة للحكم الذاتي (الإرادة التي أتمكن من خلالها من قيادة حياتي)

[13]نفهم هنا –بعد Virno– أن تحليل القوى العاملة، وهو أمر ضروري لفهم السياسة الحيوية، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار جميع القدرات البشرية، المادية و"حياة العقل".

وسلسلة تقنيات الإدارة الذاتية وخاصة (ريادة الأعمال) يتم توجيهها بشكل خيالي لمواجهة الوضع المزري (Lorey، 2016).

بالفعل، تستند كل من «النظرية السياسية النفسية»، ل Vieira، و«نظرية القصد الإجرامي» ل Misse إلى دراسات انطولوجية وابستمولوجية لـ «الذات» المقتنعة بوضع أدِينت فيه من طرف النظام الاقتصادي-السياسي والسوسيو-ثقافي المهيمنان، سواء كمستهلكة أو مجرمة. من الواضح، أنه في هذه العمليات، يكون الخضوع الذي يتم ممارسته ممكنًا فقط من خلال الخضوع الذاتي، والذي يبدأ باستعداد الذات لنفسها.

الخلاصات

إن أنماط الصناعة التاريخية والمُمَأسسة التي صوَّرَت السكان الأصليين همجا وأعداءً وجبت تصفيتهم وتجريدهم من ممتلكاتهم، سواء كان ذلك من خلال أفكار منبثقة من رحم الحضارة أو مما سواه، كان لها، بالتأكيد، تأثير مؤلم، باعتباره صدمة ناتجة عن جرح في الذاكرة. في الواقع، ما نلاحظه اليوم يستجيب بالتحديد لأزمة هذه الصدمة وذكرى الألم والمعاناة والإبادة الجماعية والتجريد من الممتلكات.

وفي هذا الصدد، فإن المقاربة المثيرة التي أجراها Abraham و Torok(1986) حول مفهوم "الشبح"، الذي يستعملانه كاستعارة مفاهيمية تتعلق بخطاب الخسارة والحداد والتعافي؛ بحيث يسمح النهج الشبحي، على وجه التحديد، بمعالجة هذا البعد من الاشكاليات المرتبطة بالصراع بين الدولة القومية والمجتمع العرقي.

إن العدو هو في نفس الوقت حضور وطيف واستعارة، مفاهيم صنعتها السلطة القائمة في محاولة مستمرة «لتبخيس وتشكيك ومساءلة فكرة ومشروع التغيير والثورة والتحول» (García Linera، 2016:

7). الشيء المثير للاهتمام في اعتبار العدو شبحًا هو أنه لا يموت ولا يسمح بإماتته. إنه أسلوب صناعة يتبين فيه حتما أن العدو ما هو إلا عدو نفسه، مهما تم إظهاره كعدو لأي شخص أو للكل أو للغير. إنه عدو لمن يصنعه، ولهذا فهو يحمل بعضا من خصائصه. إنه في خضوع دائم لإنه منقاد جزئيًا لمن يمنحه الحياة؛ بحيث يظهر العدو الهمجي من جديد باعتبار أن لديه من الحضارة ما يعيده إلى عالمها. يتحمل العدو المتمرد جزئيا مسؤولية العالم الذي ثار ضده، وبالتالي في مرحلة ما يكون هدف تمرده مشتركًا. كعدو يظهر ويختفي ويعود للظهور من جديد، لأنه كان قادرًا على أن يمتلك من جديد جزءا من الدافع الأول لتمرده. يحدث الشيء نفسه مع العدو غير المنتج، سواء كان عاملًا أو مزارعًا أو عامل منجم أو عاملًا موسميًا، لأنه يشبه إلى حد ما صاحب العمل الذي أخضعه تاريخياً. هذا الأخير، بدوره، يتمثل فيه في عهد آبائه وأجداده، الذين وصلوا كمستوطنين مستضعفين من أوروبا التي كانت في أزمة حينها. هذه هي الطريقة التي يصبح بها العدو الهدف الرئيس للمشروع النيوليبرالي.

إن قدرة السلطة هي التي تسمح، بالتحديد، باستمرار خضوع الآخر، من خلال مختلف الاستراتيجيات. لهذا فإن فكرة الشبح تساعد على فهم هذا الميل العنيد لإخضاع الآخر، فهذا الآخر باعتباره عدوا لم يكن له أبدا وجه واحد وهوية واحدة. كان من الممكن دائمًا تشكيله

حسب الرغبة ووضعه في السياق؛ إنه ذو الجسد المتوحش القذر، ولكنه أيضًا الجسد الطاهر إذا كان سيُضَحَّى به؛ إنه الجسد المنسي عند الساسة وفي نفس الوقت هو الجسد المعترف به في المتاحف؛ إنه الجسد المجرد من صوته، جسد الأمي الذي يُسمع صوته بوضوح في الاحتجاجات؛ إنه الجسد الصامت للمتهم في المحاكم والجسد الذي يعرف تفاصيل كثيرة كشاهد؛ إنه جسد المزارع الخامل والمتعب، ولكنه في نفس الوقت الجسد الممتن لرائد الأعمال؛ إنه ذلك البربري والفلاح والعامل والحرفي، وهي أوجه متعددة لنفس الخضوع، ففي كل وجه منها تسود الصورة الكامنة لعدو الحضارة والتقدم والسوق.

إن التعابير المستعملة لوصف "الشبح" غالبًا ما يكون مشابهًا للمصطلحات المستخدمة لوصف صفات الصدمة. على الرغم مما سبق، فإن استعارة الشبح لا تقتصر على فهم الإشكاليات التي قد ترتبط في الغالب بالذاكرة والتاريخ (صادمة أم لا). بهذه الطريقة، يبدو من المناسب الإشارة بإيجاز إلى وجهات نظر استخدام ما يمكن أن نسميه بجذر «الشبح الأصلي»، خاصة في عرف الكتاب الأمريكيين من قبيل Emilie Cameron (2008)، Gerry Turcotte (2008)، Ken Gelder و Jane M. Jacobs (1999).

إن التحول الشبحي كنهج لعمليات الوصم والتجريم والإخضاع الجنائي والتهميش والإقصاء، بشكل عام، ينطوي على إمكانات تحليلية كبيرة؛ خاصة لأنها تسمح بجمع تلك العناصر التي عادةً ما تغفل عند التحليل، من خلال المقابلة بين الحضارة والبربرية، والتي هي أكثر وفرة مما كان متوقعًا. في هذا الصدد، يستعيد التحول الشبحي تناقضه الذاتي الذي يواجه به خطاب الهيمنة المجموعات الفرعية، أي أن تسند إليهم، في الوقت نفسه، خصائص ودلالات كل من الخطاب حول الحضارة والخطاب حول البربرية.

ذلك لأن الهدف ليس الاستبعاد بشكل مباشر، بل الاحتواء من أجل الاستبعاد. لماذا؟ لأن ما نحاول دفنه هم الأشباح، ومع ذلك لا يمكن لهذا العدو أن يظل مدفونا. بعبارة أخرى، إنها سيرورة مستمرة من الدفن والتنقيب، حسب الحاجة. تمثل الأطياف مخاوفنا من أن يمتصها خطاب الآخر وخياله. في الواقع، إن الشبح الأصلي ليس إلا تمثيلًا لخوف أولئك الذين يحتاجون وجود الآخر لإعادة تأكيد هويتهم الوطنية والذين هم، بالموازاة مع ذلك، في حاجة إلى غياب هذا الآخر لضمان وجودهم القومي.

في الواقع، وبالنسبة للأدب، فإن السكان الأصليين هم الشبح الضروري للقصص والخطابات الوطنية، التي تسعى إلى استحضار واقع خيالي كالهوية الوطنية، بناء على سجن اشباح التجربة هاته، والتي عند

حفظها مطبعيا، تتحرر لاحقًا من أذهان القراء، لأنها محتلة في حيوات دونية أو طرائفية بنفس القوة التي ترتقي فيها، في بعض الأحيان، إلى حيوات بطولية. إنهم أشباح لأنهم يمثلون حياة الأبطال والرعاع في الوقت نفسه وفي هذه الحالة المزدوجة ينتهي بهم الأمر بالإبادة.

من جهة أخرى، وعند دراسة حالة السكان الأصليين، فإن السؤال عن الأشباح يكون مدفوعًا بالاهتمامات وبالحاجة إلى إعطاء مساحة للغياب وللأسرار وللمسكوت عنه ولما يتجاوز مصفوفات الفكر المهيمن.

في حالة المخروط الجنوبي لأمريكا الجنوبية، من المستحيل محاولة التقدم في حل الصراع بين الدول القومية وشعب المابوتشي دون حوار نابع عن قناعة، وهي مبادرة لا بد من أن تنظم إليها الشركات عبر الوطنية. كما أنه من المستحيل عمليًا التقدم في الحوار دون الاعتراف الصريح بالأحداث التاريخية التي وقعت. إن الأمر يتعلق بتدخلات عسكرية للإبادة الجماعية وهنا المجال لا يسمح بالتعابير الملطفة. وغير ذلك يبقى مجرد كلام. مع الأسف، أصبحت هذه عادة في تشيلي، لأنه بعد أربعين عامًا لا يزال الجدل محتدما حول ما إذا كانت الديكتاتورية تنشأ بتدخل عسكري أو انقلاب عسكري. أعتقد أنه لا يزال هناك من يخلط بين التدخل السياسي والغزو العسكري.

وعليه، يجب أن يكون الاعتراف ماديًا ورمزيًا، لأنه إلى جانب سياسات التوزيع (الأراضي والتشغيل والوصول إلى الخدمات الصحية والتعليم وما إلى ذلك) من الضروري تنفيذ سياسات الاعتراف الرمزي، على سبيل المثال الاعتراف الدستوري والحكم الذاتي الإقليمي، إلخ.

هذا أمر معقد بشكل خاص في إطار "الحكومة الخاصة غير المباشرة" (Mbembe، 2011)، والتي تصر الحكومات، بجميع انتماءاتها السياسية، على الحفاظ عليها، إن لم تعمقها علنًا. فالأمر يتعلق بتحقيق حلمها القديم: ألا وهو خصخصة الدول. ومن هناك تحقيق جنة التدفق الحر للبضائع، والتي لا تعدو كونها ضمانًا لأرباح الأوليغارشية الجديدة دون أي قيد.

هذا السيناريو معقد بشكل خاص، لأن النموذج الاقتصادي النيوليبرالي يدعم أسس النظام بأكمله ومنذ فترة طويلة. في هذا الصدد، لعب البنك الدولي دورًا رئيسا في حالة بلدان أمريكا اللاتينية، لا سيما في الثمانينيات والتسعينيات، لأنه يعتبر ما هو إثني محركًا للتحديث ومروجًا لرأس المال الاجتماعي، ولكن في نفس الوقت، خطرا بالنسبة للثروة ورأس المال (Bates، 1999: 1).

بعبارة أخرى، يقدّر البنك الدولي ما هو عرقي لنفس السبب الذي يجعله يشوه سمعته، أي دوره في الرأسمالية. في الواقع، تكمن قيمته الرئيسية في القدرة التي تمتلكها المجموعات العرقية على التواصل الاجتماعي وتوسيع الممارسات الاقتصادية. ومن هنا تأتي أهمية تعزيز المهارات والكفاءات اللازمة لريادة الأعمال.

ومع كل هذا، فإن المشكل لازال معقدًا جدا. كما رأينا، فإن تحولات العدو –في أوقات وأدوار مختلفة– جعلوا له حضورًا ماديًا وغير مادي، بحيث يخبرنا ظهوره واختفائه عن حالته وحالة من ينتجه. لأن العدو، قبل كل شيء، هو علاقة وجدل طيفي. هذه الخصائص تعني القدرة على التواجد دائمًا. العدو هو عدو موسمي وفي نفس الوقت عدو تاريخي. إنه عدو الاستعمار والدولة القومية والسوق، وفي نفس الوقت العدو الدائم لتاريخ البشرية. لديه القدرة على النهوض بالسلاح لمواجهة الغزو والإبادة الجماعية لدولتي تشيلي والأرجنتين، دون أن يتوقف عن كونه العدو اللدود لنموذج الدولة القومية، التي ستظهر باستمرار. مثل هذا العدو يمكن أن يُقتل ولا يُقتل كذلك، لأن الشبح يظهر ويختفي فقط ليظهر مرة أخرى.

لكن العدو سيكون دائمًا هناك، لأنه من إبداع من ينتجه، وبالتالي فهو لا يمثل نفسه فحسب، بل يمثل أيضًا خالقه. العدو أيضا هو العامل

غير المستقر، المستبعد من نظامي الصحة والتعليم والمحكوم عليه ببؤس نموذج المعاش أو التقاعد. العدو هو الهامش.

باختصار، العدو هو علاقة واستجابة. هو مقياس إرادة من يخلقه. إن ثائر الأمس هو مفتقر اليوم، كما أن مفتقر اليوم هو ثائر الغد. إن التجريم والتصنيع إن هما إلا جهدان لإقامة علاقة، لكنهما سينتجان بدورهما رد فعل.

في العمل القادم، سوف نقوم بتحليل طرق مواجهة الحركات الاجتماعية ضد الاستعداء والهيمنة، من قبيل الحركة الطلابية والحركة النسوية والحركة الأهلية وأخرى، لا سيما استراتيجياتها المقاومة والدفاعية.

المراجع

Abraham, Nicolas & Torok, Maria (1986): *The Wolf Man's Magic Word: A Cryptonymy* [trans. Nicholas Rand], Minneapolis: University of Minnesota Press.

Adorno, Rolena (1988): "El sujeto colonial y la construccion cultural de la alteridad", *Revista de Crítica Literaria Latinoamericana*, año 14, núm. 28, pp. 55-68.

Agustín de Hipona, San ([415] 2007): *La ciudad de Dios. Libros I-VII*, Madrid: Gredos.

Ahmed, Sara (2015): *La política cultural de las emociones*, México D.F.: Universidad Nacional Autónoma de México.

Alegría, Fernando (1943): *Lautaro, joven libertador de Arauco*, Santiago de Chile: Zig-Zag.

Alemany, Carmen (2013): "La narrativa sobre el indígena en América Latina. Fases, entrecruzamientos, derivaciones", *Acta Literaria*, núm. 47, pp. 85-99.

Altamirano, Ignacio ([1901] 2009): *El Zarco*, México D.F.: Instituto Latinoamericano de la Comunicación Educativa.

Anzaldúa, Gloria (2016): *Borderlands. La frontera*, Madrid: Capitán Swing Libros.

Appadurai, A. (2007): *El rechazo de las minorías. Ensayo sobre la geografía de la furia*, Barcelona: Tusquets Editores.

Arguedas, Alcides (1919): *Raza de bronce*, La Paz: González y Medina Editores.

Arguedas, José María (1958): *Los ríos profundos*, Buenos Aires: Editorial Losada.

Asturias, Miguel Ángel (1930): *Leyendas de Guatemala*, Ciudad de Guatemala: Ediciones Oriente.

Balibar, Etienne y Wallerstein. Immanuel (1988): *Raza, nación y clase*, Madrid: IEPALA.

Bangura, Yusuf y Stavenhagen, Rodolfo (2005): *Racism and Public Policy*, New York: Palgrave Macmillan.

Bates, Robert (1999): *Ethnicity, Capital Formation, and Conflict*, Washington DC: The World Bank.

Belmar, Daniel (1947): *Roble huacho*, Santiago de Chile: Ediciones Cultura.

Bhabha, Homi (2002): *El lugar de la cultura*, Buenos Aires: Manantial.

Blanco, María del Pilar & Peeren, Esther (2013) (Ed.): *The spectralities reader: ghosts and haunting in contemporary cultural theory*, New York/London: Bloomsbury Academic.

Blest Gana, Alberto (1862a): *Martín Rivas. Novela de costumbres político-sociales*, Buenos Aires: Imprenta del Siglo.

Blest Gana, Alberto (1862b): *Un drama en el campo. La venganza. Mariluán*, Santiago: Imprenta de la Voz de Chile.

Bolis, Josefina (2015): *Jóvenes y soberanía hegemonía, discursos y trayectorias hacia la emancipación*, La Plata: Universidad Nacional de La Plata.

Bonfil, Guillermo (1990): *México profundo. Una civilización negada*, México D.F.: Editorial Grijalbo, S.A.

Calderón, Melchor (1607): *Tratado de la importancia y vtilidad que ay en dar por efclauos a los Indios rebelados de Chile*, Madrid.

Camacho, Gloria (2010): *Mujeres migrantes: Trayectoria laboral y perspectivas de desarrollo humano*, Quito: Ediciones Abya-Yala.

Cameron, Emilie (2008): "Indigenous Spectrality and the Politics of Postcolonial Ghost Stories", *Cultural Geographies*, núm. 15, pp. 383-93.

Cardoso, Hugo (2006): "El origen del neoliberalismo: tres perspectivas", *Espacios Públicos*, 9(18), pp. 176-193.

Castellanos, Rosario (1957): *Balún Canán*, México D.F.: Fondo de Cultura.

Ceceña, Ana Esther (2008): "El posneoliberalismo y sus bifurcaciones", en *Observatorio Latinoamericano de Geopolítica*.
<http://geopolitica.iiec.unam.mx/index.php/node/163>

Centro de Investigación Periodística, CIPER, 13 de marzo de 2018 y 5 de abril de 2018.

Colón, C., Major, R. H., Newberry Library., & Roger Baskes Collection (University of Chicago. Library). (1953): *The Columbus letter of March 14th, 1493*, Chicago: Newberry Library.

Colón, C. (1492): *Carta del 12 de octubre de 1492*.

Conesa, P. (2011): *La fabrication de l'ennemi*, Paris: Robert Laffont.

Cooper, James (1826): *The Last of the Mohicans*, Filadelfia: H.C. Carey & I. Lea.

Cortés, Hernán ([1519/1520/1522/1524/1526],2013): *Cartas de relación*, edición digital, epublibre. [Originales: Carta Primera, 10 de julio de 1519; Carta Segunda, 30 de octubre de 1520; Carta Tercera, 15 de mayo de 1522; Carta Cuarta, 15 de octubre de 1524; Carta Quinta, 3 de septiembre de 1526].

De Acosta, ([1590] 2006): *Historia natural y moral de las Indias. En que se tratan de las cosas notables del cielo/elementos/metales/plantas y animales dellas y los ritos/y ceremonias/leyes y gobierno de los indios*, México D.F.: Fondo de Cultura Económica.

De Peretti, Cristina (2003): *Espectrografías desde Marx y Derrida*, Madrid: Editorial Trotta, S.A.

De Rivas, Duque (1835): *Don Álvaro o la fuerza del sino. Drama original en cinco jornadas, y en prosa y verso*, Madrid: Freeditorial.

Del Valle, Carlos (2013): "La participación como mediación en
el desarrollo social y público: tensiones y convergencias entre discurso y materialidad", en Francisco Sierra (coord.), *Ciudadanía, tecnología y cultura. Nodos conceptuales para pensar la nueva mediación digital*, Barcelona: Editorial Gedisa.

Del Valle, Carlos (2019): "La criminalización radical del enemigo como estrategia del estado nacional y las élites en la lucha por las tierras indígenas", en Álex Arévalo, Griselda Vilar & Marcial García (Editores), *Comunicación y cambio social*, Barcelona: Tirant lo Blanch, pp. 155-165.

Del Valle, Carlos (2018): "La producción del enemigo íntimo en la industria cultural chilena: Crítica a la certeza moral, la razón neoliberal y la sujeción criminal", en Caldevilla, David (Coordinador), *Perfiles actuales en la información y en los informadores*, Madrid: Editorial Tecnos, pp. 51-68.

Del Valle, Carlos (2020): "El rol de la industria cultural en el proyecto civilizatorio: Hacia una matriz de análisis del discurso del enemigo íntimo y el sujeto criminal", en Sandra Poliszuk & Ariel Barbieri (Ed.), *Medios, agendas y periodismo en la construcción de la realidad*, Río Negro: Editorial de la Universidad Nacional de Río Negro, pp. 191-198.

Derrida, Jacques (1998): *Espectros de Marx. El estado de la deuda, el trabajo del duelo y la nueva internacional*, Madrid: Editorial Trotta.

Di Tella, Torcuato (1984): *La Rebelión de esclavos de Haití*, Buenos Aires: Editorial del IDES.

Domeyko, I. (1846): *Araucania i sus habitantes*, Santiago de Chile: Imprenta Chilena.

Droguett, Carlos (1967): *Supay el cristiano*, Santiago de Chile: Zig-Zag.

Dussel, Enrique (1994): *1492. El encubrimiento del Otro*, La Paz: Plural editores.

Dussel, Enrique (1995): *The Invention of the Americas. Eclipse of "the Other" and the Myth of Modernity*, New York: The Continuum Publishing Company.

Echeverría, Bolívar (2010): *Modernidad y blanquitud*, México D.F.: Ediciones Era.

Echeverría, Bolívar (2011): *Crítica de la modernidad capitalista*, La Paz: "Garza Azul" Impresores & Editores.

Elias, N. y Scotson, J. (2016): *Establecidos y marginados. Una investigación sociológica sobre problemas comunitarios*, Mexico DF: Fondo de Cultura Económica.

ElHajji, Mohammed; Cogo, Denise y Huertas, Amparo (2020): *Migraciones transnacionales, interculturalidad, políticas y comunicación*, Barcelona: Universitat Autònoma de Barcelona.

Encina, Francisco (1911): *Nuestra inferioridad económica. Sus causas, sus consecuencias*, Santiago de Chile: Editorial Universitaria.

Fanon, Frantz (1963): *Los condenados de la tierra*, México DF: Fondo de Cultura Económica.

Ford, Henry (1975): *El judío internacional. Un problema del mundo*, Resistencia: Ediciones Chaco.

Foucault, Michel (2006): *Seguridad, territorio, población*, Buenos Aires: Fondo de Cultura Económica.

Foucault, Michel (2009): *El gobierno de sí y de los otros*, Buenos Aires: Fondo de Cultura Económica.

Frank-Job, Bárbara (2020): La migración como proceso. El concepto de temporalidad en blogs de migrantes latinoamericanos a Quebec, Bielefeld: CIAS/Kipu-Verlag.

Friedman, M. (1975): *Segundo Ciclo de Conferencias sobre Economía Social de Mercado*, Santiago de Chile.

Galceran, Montserrat (2016): *La bárbara Europa. Una mirada desde el postcolonialismo y la descolonialidad*, Madrid: Traficantes de sueños.

García Linera, Álvaro (2009a): *La potencia plebeya: acción colectiva e identidades indígenas, obreras y populares en Bolivia*, Bogotá: Siglo del Hombre Editores y Clacso.

García Linera, Álvaro (2009b): *Forma valor y forma comunidad. Aproximación teórica-abstracta a los*

fundamentos civilizatorios que preceden al Ayllu Universal, La Paz: Muela del Diablo Editores.

García Linera, Álvaro (2016): Entrevista en *Ideal*, núm. 2.

García Linera, Álvaro (2020): *Posneoliberalismo: tensiones y complejidades*, Ciudad Autónoma de Buenos Aires: CLACSO; Prometeo.

Gelder, Ken & Jacobs, Jane (1999): "The Postcolonial Ghost Story", *Ghosts: Deconstruction, Psychoanalysis, History*, Basingstoke: Macmillan.

Gilroy, Paul (1993): *The Black Atlantic. Modernity and Double Consciousness*, London: Verso.

Giordano, Mariana (2012): *Indígenas en la Argentina. Fotografías 1860-1970*, Buenos Aires: El Artenauta.

Goebbels, Joseph (1943): *La guerra total*. Discurso. <https://www.youtube.com/view_play_list?p=EA7237D6AB73AAB4>

Gracia, Luis (2005): "Consideraciones críticas sobre el actualmente denominado 'Derecho penal del enemigo'", en *Revista Electrónica de Ciencia Penal y Criminología*, núm.

07-02, pp. 02:1-02:43. <http://criminet.ugr.es/recpc/07/recpc07 -02.pdf>

Grosfoguel, Ramón and Cervantes-Rodriguez, Ana (2002): *The modern/colonial/capitalist world-system in the twentieth century: global processes, antisystemic movements, and the geopolitics of knowledge*, Westport: Greenwood Press.

Guamán Poma de Ayala, Felipe ([1615] 1980): *Nueva Coronica y Buen Gobierno*, México D.F.: Siglo Veintiuno.

Guattari, Félix y Rolnik, Suely (2006): *Micropolítica. Cartografías del deseo*, Madrid: Traficantes de Sueños.

Guevara, Tomás (1908): *Psicolojia del pueblo Araucano*, Santiago de Chile: Imprenta Cervantes.

Guibovich, Pedro (2013): *Lecturas prohibidas. La censura inquisitorial en el Perú tardío colonial*, Lima: Fondo Editorial de la Pontificia Universidad Católica del Perú.

Herr, Robert (2007): "De bandidos a trabajadores: el proyecto económico liberal en El Zarco de Ignacio Manuel Altamirano", en *Literatura Mexicana*, vol. 18, núm. 2, pp. 121-139.

Huntington, Ellsworth (1949): *Las fuentes de la civilización*, Buenos Aires: Fondo de Cultura Económica.

Houtart, F. (2007): *Mercado y religión*, Ruth Casa Editorial y Ciencias Sociales.

Icaza, Jorge (1934): *Huasipungo*, Quito: Imprenta Nacional.

Jakobs, Günther y Cancio, Manuel (2003): *Derecho penal del enemigo*, Madrid: Civitas Ediciones.

Jessop, Robert (2008): *El futuro del Estado capitalista*, Madrid: La Catarata.

Jones, Owen (2013): *Chavs. La demonización de la clase obrera*, Madrid: Capitán Swing.

Klein, Herbert (2011): *El tráfico atlántico de esclavos*, Lima: IEP InstItuto de estudIos Peruanos/Fundación Manuel J. Bustamante de la Fuente.

Kramer, Heinrich y Sprenger, Jacobus ([1485-86] 2006): *Malleus Maleficarum. El martillo de los brujos*, Barcelona: Reditar Libros.

Lakoff, George (2007): *No pienses en un elefante. Lenguaje y debate político*, Madrid: Editorial Complutense S.A.

Lévi-Strauss, Claude (1964): *El pensamiento salvaje*, México D.F.: Fondo de Cultura Económica.

Lyra, Francisco y Wermuth, Maiquel (2018): *Biopolítica e direito penal do inimigo: notas sobre um direito penal da exclusão*, Porto Alegre: Editora Fi.

Lomboy, Reinaldo (1946): *Ránquil. Novela de la tierra*, Santiago de Chile: Editorial Orbe.

Lombroso, César (1887): *Los criminales*, Barcelona: Centro Editorial Presa.

López, Gregorio (1935): *El indio*, México D.F.: Editorial Botas.

López, José (1904): *La raza indígena. Breves reflexiones*, México: Imprenta Mariano Viamonte.

López Soria, J. I. (2015): "Legislación y diversidad en los preparativos de la República", en Ledesma, M. (Coord.), *Justicia, derecho y sociedad. Debates interdisciplinarios para*

el análisis de la justicia en el Perú, Lima: Tribunal Constitucional del Perú.

Lorey, Isabell (2016): *Estado de inseguridad. Gobernar la precariedad*, Madrid: Traficantes de Sueños.

Losonczy, Anne-Marie (2006): *La trama interétnica: ritual, sociedad y figuras del intercambio entre los grupos negros y emberá del Chocó*, Bogotá: Instituto Colombiano de Antropología e Historia; Instituto Francés de Estudios Andinos.

Lukes, Steven (2007): *El poder. Un enfoque radical*, Madrid: Siglo XXI.

Luquín, Eduardo (1923): *El indio*, México D.F.: Editorial Herrero Hermanos.

Magdaleno, Mauricio (1937): *El resplandor*, México D.F.: Editorial Botas.

Malaguti, V. (2016): "El neoliberalismo se basa en políticas sociales penales", *Página 12*, lunes 18 de julio de 2016. [Consulta: 11 de octubre de 2017]. <https://www.pagina12.com.ar/diario/elpais/1-304512-2016-07-18.html>

Manigat, Matari (2020): “La transformación de las funciones soberanas del Estado en el capitalismo contemporáneo: el caso de la privatización de la seguridad pública”, en Lucía Jasso y Matari Manigat (coord.), *Transformación del Estado y privatización de la seguridad pública: policías privadas, cárceles privadas y gated communities en México*, Ciudad de México: Universidad Nacional Autónoma de México.

Martins, María (2009): *Desde adentro. Las comunidades originarias de la Argentina*, Buenos Aires: Fundación de Historia Natural Félix de Azara: Ministerio de Educación de la Nación.

Matto, Clorinda (1889): *Aves sin nido*, Lima: Imprenta del Universo de Carlos Prince.

Mbembe, Achille (2011): *Necropolítica seguido de Sobre el gobierno privado indirecto*, Santa Cruz de Tenerife: Editorial Melusina.

Mbembe, Achille (2016): *Crítica de la razón negra. Ensayo sobre el racismo contemporáneo*, Barcelona: NED Ediciones.

Mediz, Antonio (1922): *La tierra del faisán y del venado*, Buenos Aires: Editorial Contreras y Sanz.

Melville, Herman (1846): *Typee: A Peep at Polynesian Life*, Nueva York: Editorial Wiley & Putnam.

Memmi, Albert (2003): *The Colonizer and the Colonized*, London: Earthscan Publications Ltd

Mignolo, Walter (2010): *Desobediencia epistémica. Retórica de la Modernidad, lógica de la colonialidad y gramática de la descolonialidad*, Buenos Aires: Ediciones del Signo.

Milner, Ch. (1914): *Theory of Legislation. Being Principes de Législation and Traités de Législation, Civile et Pénale*, Oxford: Oxford University Press.

Misse, M. (1999): "Malandros, marginais e vagabundos & a acumulação social da violência no Rio de Janeiro". Tesis doctoral, Instituto Universitário de Pesquisas do Rio de Janeiro, Brasil.

Misse, M. (2010a): "Crime, sujeito e sujeição Criminal: Aspectos de uma Contribuição analítica sobre a Categoria 'bandido'", *Lua Nova*, São Paulo, núm. 79, pp. 15-38.

Misse, M. (2010b): "La acumulación social de la violencia en Río de Janeiro y en Brasil: Algunas reflexiones", *Revista Coherencia*, vol. 7, pp. 19-40.

Misse, M. (2014): “Sujeição criminal”, en Sérgio de Lima, R. (org.). *Crime, policía e justiça no Brasil*, São Paulo: Editora Contexto, pp. 204-212.

Misse, Michel (2017): *Una identidad para el exterminio La sujeción criminal y otros escritos*, Temuco: Ediciones UFRO.

Monroy, Ángel (2015): “Construcción del enemigo del derecho penal desde los medios de comunicación”, en *Advocatus*, vol. 12, núm. 24, pp. 31-45.

Nandy, A. (1983): *The intimate enemy. Loss and recovery of self under colonialism*, Oxford: Oxford University Press.

Nicolau, Luis (1963): *Cronistas de las culturas precolombinas*, México D.F.: Fondo de Cultura Económica.

Nietzche, Friedrich (2005): *La genealogía de la moral. Un escrito polémico*, Madrid: Alianza Editorial.

O’Gorman, Edmundo (1941): “Sobre la Naturaleza Bestial del Indio Americano”, *Filosofía y Letras. Revista de la Facultad de Filosofía y Letras de la Universidad Nacional de México*, núm. 1, pp. 141-158 y 2, pp. 305-315.

Paredes, Julieta (2014): *Hilando fino. Desde el feminismo comunitario*, México: Cooperativa El Rebozo.

Peeren, Esther (2014): *The Spectral Metaphor. Living Ghosts and the Agency of Invisibility*, New York: Palgrave Macmillan.

Poulain, Jacques (2017): *Sobre la capacidad de juzgar*, Temuco: Ediciones Universidad de La Frontera.

Poulantzas, Nicos (2007): *Poder político y clases sociales en el estado capitalista*, México D.F.: Siglo XXI.

Quijano, Aníbal (1980): *Dominación y cultura. Lo cholo y el conflicto cultural en el Perú*, Lima: Mosca Azul Editores.

Racosta, Azucena (2018): *El vivo sustento del Inquisidor*. Tesis de maestría, Universidad Nacional de La Plata, Argentina.

Redfield, Robert (1947): "The Folk Society", *American Journal of Sociology*, vol. 52, núm. 4, pp. 293-308.

Reding, Sofía (2009): *El buen salvaje y el caníbal*, México D.F.: UNAM.

Reguillo, Rossana (1997): “Jóvenes y medios. La construcción del enemigo”, en *Chasqui*, núm. 60.

Reid, George (2011): *Negritud en la nación blanca: una historia de Afro-Uruguay, 1830-2010*, Montevideo: Librería Linardi y Risso.

Roa, Augusto (1953): *El trueno entre las hojas*, Buenos Aires: Losada.

Roberts, Jeremy (2000): *Joseph Goebbels. Nazi Propaganda Minister*, New York: The Rosen Publishing Group.

Rubín, Ramón (1948): *El callado dolor de los tzotziles*, México D.F.: Impresora insurgentes.

Said, Edward (2008): *Orientalismo*, Barcelona: Random House Mondadori, S. A.

Saintout, Florencia (2013): *Los jóvenes en la Argentina. Desde una epistemología de la esperanza*, Bernal: Univesidad Nacional de Quilmes.

Sánchez, Antonio (2016): Edición de *El Zarco: episodios de la vida mexicana en 1861-1863*, Madrid: Cátedra.

Sarmiento, Domingo (1845): *Civilización i Barbarie. Vida de Juan Facundo Quiroga. Aspecto físico, costumbres i habitos de la Republica Arjentina*, Santiago: Imprenta del Progreso.

Sarmiento, Domingo (1915): *Conflicto y armonías de las razas en América*, Buenos Aires: La Cultura Argentina.

Schávelzon, Daniel (2003): *Buenos Aires negra. Arqueología histórica de una ciudad silenciada*, Buenos Aires: Emecé Editores.

Segato, Rita (2014): *Las nuevas formas de la guerra y el cuerpo de las mujeres*, Puebla: Pez en el árbol.

Silva, Víctor D. (1934): *El mestizo Alejo. La maravillosa vida del primer toqui chileno*, Santiago de Chile: Zig-Zag.

Silva, Víctor D. (1935): *La criollita*, Santiago de Chile: Zig-Zag.

Smith, Edmond (1914): *Los araucanos. Notas sobre una gira efectuada entre las tribus indigenas de Chile Meridional*, Santiago de Chile: Imprenta Universitaria.

Stavenhagen, Rodolfo (2013): *The Emergence of Indigenous Peoples*, México D.F.: Center for Sociological Studies El Colegio de Mexico.

Tamagno, Liliana (2011): "Pueblos indígenas. Racismo, genocidio y represión", *Corpus*, vol. 1, núm. 2. DOI: 10.4000/corpusarchivos.1164.

Tarín, Adrián (2015): *El ruso étnico como enemigo del Islam. Análisis transversal de la agencia informativa Kavkaz Center (2001-2004)*. Tesis doctoral, Universidad de Sevilla, España.

Todorov, Tzvetan (2010): *The Fear of Barbarians. Beyond the Clash of Civilizations*, Chicago: The University of Chicago Press.

Todorov, Tzvetan (2012): *Los enemigos íntimos de la democracia*, Barcelona: Galaxia Gutenberg.

Traverso, E. (2003): *La violencia nazi. Una genealogía europea*, Buenos Aires: Fondo de Cultura Económica.

Tuhiwai, Linda (1999): *Decolonizing Methodologies. Research and Indigenous Peoples*, London: Zed Books Ltd.

Turcotte, Gerry (2008): "Spectrality in Indigenous Women's Cinema: Tracey Moffatt and Beck Cole", *The Journal of Commonwealth Literature*, vol. 43, núm. 1, pp. 7-21.

Tzul Tzul, Gladys (2015): "Mujeres indígenas: Historias de la reproducción de la vida en Guatemala. Una reflexión a partir de la visita de Silvia Federici", *Bajo el Volcán*, vol. 15, núm. 22, pp. 91-99.

Valcárcel, Luis (1927): *Tempestad en los Andes*, Lima: Editorial Minerva.

Valenzuela, José (2015): *Juvenicidio: Ayotzinapa y las vidas precarias en América Latina y España*, Barcelona: Ned Ediciones; Guadalajara: ITESO; Tijuana: El Colegio de la Frontera Norte.

Vásquez, Claudia (2019): "Personas travestis y trans en situación de encierro", Informe diagnóstico acotado, período 2018-2019, Fondo Internacional Trans (FIT), Buenos Aires: OTRANS.

Vásquez, Claudia y Sánchez, Luciana (2017): "Violaciones a los derechos humanos del colectivo trans y travesti migrante en Argentina", *Revista Maíz*, núm. 7, pp. 46-51.

Vázquez, Francisco (2005): "'Empresarios de nosotros mismos'. Biopolítica, mercado y soberanía en la gubernamentalidad neoliberal", en Ugarte, J. (comp.), *La administración de la vida. Estudios biopolíticos*, Barcelona, Anthropos.

Vera, Robustiano (1905): *La pacificación de Arauco*, Santiago de Chile: El Debate.

Vicuña Mackenna, Benjamín (1868). La conquista de Arauco. Discurso pronunciado en la Cámara de Diputados en su sesión de 10 de agosto. Santiago de Chile: Imprenta del Ferrocarril.

Virno (2003): *Gramática de la multitud. Para un análisis de las formas de vida contemporáneas*, Madrid: Traficantes de Sueños.

Wade, Peter (2000): *Raza y etnicidad en Latinoamérica*, Quito: Ediciones ABYA-YALA.

Wallerstein, Immanuel & Balibar, Etienne (1991): *Raza, nación y clase*, Madrid: IEPALA.

Wallerstein, Immanuel (Coord.) (2007): *Abrir las ciencias sociales. Informe de la Comisión Gulbenkian para la*

reestructuración de las ciencias sociales, México DF: Siglo XXI Editores.

Zaffaroni, Eugenio (1997): "El discurso racista: eficacia de su estructura", en *Eguzkilore*, núm. extraordinario 11, pp. 259-265.

Zaffaroni, Eugenio (2006): *El enemigo en el derecho penal*, Buenos Aires: Editorial Ediar.

Zaffaroni, Eugenio (2015): *El derecho latinoamericano en la fase superior del colonialismo*, Ciudad Autónoma de Buenos Aires: Madres de Plaza de Mayo.

Zaffaroni, Eugenio y Pitrola, Néstor (2008): *El debate Zaffaroni-Pitrola. La criminalización de la protesta social*, Buenos Aires: Ediciones Rumbos.

Zavala, Miguel (1868): *Protectorado de Indios. O sea proyecto de ley ofrecido a las consideraciones de los II.II. Representantes de la Nación, en la Legislatura de 1868, con el fin de Mejorar la deprimida condición social del Indio, haciendo realizables sus derechos*, Lima: J.M. María.

Zuboff, Shoshana (2020): *La era del capitalismo de la vigilancia*, Barcelona: Paidós.

عن المؤلف

كارلوس ديل بايي روخاس هو أستاذ ينتمي لجامعة لا فرونتيرا (UFRO) في تشيلي. كان عميدًا لكلية التربية والعلوم الاجتماعية والإنسانية لمدة 9 سنوات، ومديرًا لشعبة اللغات والآداب والتواصل لمدة عامين، ومديرًا لشعبة الصحافة لمدة 3 سنوات، في نفس الجامعة. وهو باحث (عقد فخري) بجامعة جرونينجن بهولندا، وأستاذ زائر بجامعة لا سابينزا في روما بإيطاليا.

هو دكتور في التواصل من جامعة إشبيلية بإسبانيا، حيث حصل على جائزة استثنائية لأفضل أطروحة دكتوراه. حصل على شهادة ما بعد الدكتوراه في التواصل والإعلام والثقافة من جامعة لا بلاتا الوطنية بالأرجنتين، وما بعد الدكتوراه في الدراسات الثقافية من الجامعة الفيدرالية في ريو دي جانيرو بالبرازيل. وهو مدير ومؤسس الدكتوراه في التواصل في UFRO وجامعة أوسترال في تشيلي، ومدير مجلة *Perspectivas de la Comunicación* (SciELO-Chile). وهو كذلك نائب رئيس الاتحاد اللاتيني للاقتصاد السياسي للتواصل والثقافة

(ULEPICC)؛ منسق GT للتواصل والسياسة والمواطنة للمجلس الأمريكي اللاتيني للعلوم الاجتماعية (CLACSO)؛ عضو في المجلس العلمي الدولي للمعهد الأندلسي للبحث في التواصل (INACOM)؛ عضو فرع أراوكانيا الإقليمي في الأكاديمية الشيلية للعلوم السياسية والاجتماعية والأخلاقية في معهد تشيلي؛ عضو في مؤسسة تحالف أمريكا اللاتينية وافريقيا للقرن الحادي والعشرين، التي أنشأتها سفارة المغرب في تشيلي. وهو باحث رسمي في المجلس الوطني للتطوير العلمي والتكنولوجي في البرازيل.

شارك في أكثر من 50 مشروعًا بحثيًا على الصعيدين الوطني والدولي. أشرف على عدة أطروحات دكتوراه وكان مدير مشروع حلقة البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: "الآفاق المتقاربة: الإنتاج والوساطة والاستقبال وآثار تمثيل التهميش"، بتمويل من الوكالة الوطنية للبحث والتنمية (2018-2022)؛ وهو حاليًا مدير مشروع آخر بعنوان: "المشروع الحضاري في الصناعة الثقافية لأمريكا اللاتينية. الأسس الأيديولوجية والأطر الإعلامية واستراتيجيات للاستعداء خلال القرنين التاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين. حالات تشيلي والأرجنتين وبيرو وكولومبيا"، بتمويل من الوكالة الوطنية الشيلية للبحث والتنمية (2022-2026).

أصدر أكثر من 200 منشورا، بما في ذلك كتب وفصول الكتب ومجلات متخصصة، باللغات الإسبانية والإنجليزية والفرنسية والبرتغالية.

صناعة العدو في الإعلام

من هو العدو؟ أهو كائن موجود على أرض الواقع؟ أم أن وجوده لا يعدو أن يكون مجرد وهم وسراب؟ من يخلق هذا العدو؟ ما الدور الذي يضطلع به داخل المجتمعات؟ ماهي وظائفه وكيف يتم تصويره؟ ماهي العوامل التي تساهم في نشأته وتشكله؟ وهل لوجوده أية ضرورة؟

مما لا شك فيه أن "صناعة العدو" كانت ولا تزال من بين الاستراتيجيات التي تنهجها العديد من الأنظمة، سواء في سياساتها الداخلية أو الخارجية، نظرا لكون ذلك يتيح لها إلهاء شعوبها عن مختلف الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى تعزيز التماسك الاجتماعي بين الأفراد داخليا وتقوية شعورهم بالانتماء. لذلك فهذه الأنظمة تسعى باستماتة لاختيار خصم، قد يكون خارجيا في الأغلب، ثم "شيطنته" واستعدائه قصد إضفاء الشرعية عليها وتبرير السياسات والقرارات التي تتخذها.

يشكل هذا الكتاب نقدا لأنماط الصناعة العالمية للعدو، والتي تمثل، بدورها، أحد الأشكال الرئيسة للعلاقة مع الآخر. وعلى هذا المنوال، يقترح رؤية شاملة ومتقاطعة ونقدية وتاريخية لظاهرة البناء الاجتماعي والثقافي للعدو، باعتباره شرطا للمضي قُدُمًا في مشاريع تحديث الدول الوطنية وإخضاع السوق للنيوليبرالية والتركيع الشامل للآخر.